المرأة المسلمة

في مواجهة التحديات المعاصرة

الاستاذة الدكتورة

شذى سلمان الدركزلي

جامعة دَرَمْ - المملكة المتحدة



روائع مجدلاوي

المرأة المسلمة

في مواجهة التحديات المعاصرة





المرأة المسلمة

في مواجهة التحديات المعاصرة

الأستاذة الدكتورة

شذى سلمان الدركزلي

جامعة دَرَمْ / المملكة المتحدة

روائع مجدلاوي

عمان - الاردن

١٩٩٧

الطبعـة الأولى ١٩٩٧

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٦٧٠/٥/١٩٩٦)

رقـــم التصنيـــــف: ٤ر٢٦٥
المؤلف ومن هو في حكمه: شذى سلمان الدركزلي
عنــــوان المصنــف: المرأة المسلمة في مواجهة التحديات المعاصرة
الموضـــوع الرئيســـي: ١- الديانات
٢- المرأة المسلمة
رقـــم الايـــداع: (٦٧٠/٥/١٩٩٦)
بيــــانات النشـــر: عمّان، مكتبة روائع مجدلاوي
* تم اعداد بيانات الفهرسة الاولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمــــة

تحظى المرأة دائماً بإهتمام العالم ليس فقط لكونها تمثل نصف المجتمع ولكن ايضاً لما تمتلك من قوة وطاقة ذاتية مؤثرة بصورة مباشرة أو غير مباشرة على غيرها. وتحتل الآن الحركة النسوية العالمية (والتي يطلق عليها أسم Feminism) موقعاً مهماً في الصحافة في كافة أنحاء العالم لما تطرحه من آراء ومبادئ جديدة وقديمة لحماية المرأة والمحافظة على حقوقها وتوفير الاستقرار النفسي والاجتماعي لها، قدر الامكان. فقد عانت، هذه "الأقلية الكبيرة" ولا تزال تعاني من الاضطهاد وعلى مدى آلاف السنين من دفنها حية مع زوجها المتوفى من قبل السومريين وحرقها حية عند ترملها عند الهندوس، ووأدها وهي طفلة عند العرب قبل الاسلام الى استغلالها في الاعلانات التجارية في العصر الحديث بشكل مهين فيه دفن لكرامتها وانسانيتها.

ولغرض توفير حياة أفضل للعائلة، التي تكّون المرأة أحد أهم أعضائها، وللمجتمع، فقد خصصت منظمة الامم المتحدة سنة ١٩٧٥ عاما للمرأة، كما وخصصت لها العقد (١٩٧٦-١٩٨٥) لدعم البحوث الميدانية والنظرية حول سبل ووسائل تحسين أحوال المرأة في العالم، أضافة الى اقامة العديد من المؤتمرات لغرض مناقشة هذا الموضوع الحيوي. إذ تُعتبر حالة المرأة في أي مجتمع مؤشرا على تقدمه الحضاري. كما أعتبرت الأمم المتحدة سنة ١٩٩٤ السنة العالمية للعائلة وخصصتها لدراسة وسائل تحسين أحوال العائلة في العالم، بعدما اتضح تحلل الشكل التقليدي للعائلة وتأثير ذلك على المجتمع. وقد اقامت الامم المتحدة في عام ١٩٩٥ في كوبنهاغن مؤتمراً لتقييم ما تحقق خلال عام العائلة. ولا عجب إن استمر البحث في هذا المجال وحتى مطلع الالف الثالث دون إحراز نجاح ملموس، مادام العالم يمشي في مسار بَشَري التخطيط من صنع البشر وتصميمهم.

وبسبب هذا الاهتمام الواسع بالمرأة بشكل عام احتلت المرأة المسلمة حيزاً من هذا الاهتمام وبدأت تستأثر باهتمام الحركة النسوية العالمية، كجزء من الاهتمام بثروة العالم الاسلامي الروحية والمادية، وبأعتبارها ضمن الشريحة "المضطهدة" في المجتمعات الأسلامية. ويعزى الاهتمام بالعالم الاسلامي بشكل عام الى سببين رئيسين، اولهما الثروات البترولية الموجودة في العديد من الدول الاسلامية وتأثيرها الكبير على اقتصاديات العالم الغربي وحركة الصناعة فيه وحياة سكانه اليومية. فامريكا، على سبيل المثال، تستورد نصف ما تحتاجه من البترول من الشرق الاوسط، وسيرتفع ذلك الى ٦٠٪ في عام ٢٠٠٠. فبعد أن كانت امريكا تصدر البترول اصبحت تستورده لانخفاض مستوى انتاجها منه منذ عام ١٩٦٠ وذلك لهبوط مستوى خزينها النفطي بسبب معدلات استهلاكه العالية. فولاية كاليفورنيا وحدها تستهلك يومياً اكثر مما تستهلكه المانيا أو اليابان (Goodwin 1994). اما السبب الثاني فهو اعتقاد الغرب بعودة الايديولوجية الدينية للاسلام إلى الظهور بصورة لم يسبق لها مثيل (Al-Hibri 1982)، فالاسلام هو حالياً أسرع الأديان انتشاراً، إضافة الى ان هنالك بليون مسلم في العالم، لذلك اصبح اكثر ما يخشاه الغرب بعد انتهاء الحرب الباردة هو الخوف من انتشار الاسلام.

ينطلق الغربيون في معالجتهم لامور المرأة المسلمة من صورة "الحريم" التي ينسبونها من غير وجه حق الى الاسلام، ناسين أو متناسين حقيقة غاية في الاهمية وهي أن الكثير من التقاليد والاعراف التي يتبعها عموم الناس هي في الواقع ذات اساس اجتماعي بحت، وانها قد نشأت في تلك المجتمعات تحت ظروف خاصة ليس لها علاقة بالدين الاسلامي وتعاليمه النبيلة لا من قريب ولا من بعيد. والغريب هنا ان نجد علماء الاجتماع يهملون هذه الحقيقة المهمة على الرغم من ان وظيفتهم الاساسية هي دراسة ميزات المجتمع وملاحظة الفروقات بين المجتمعات المختلفة. ويتناسى علماء الاجتماع ايضا حقيقة ان المجتمعات الاسلامية بشكل عام قد عانت لسنين طويلة من الاحتلال وعدم الاستقرار السياسي، إضافة إلى الفقر الذي تعانيه العديد منها، مع ما يعكسه كل هذا من آثار سلبية على حالة جميع أفراد المجتمع وطبقاته وليس على المرأة فقط. ومن الجدير بالذكر ان بحوث المؤرخين حول امور المرأة المسلمة تتسم بقدر من الموضوعية والدقة اكبر بكثير مما لنظيراتها عند علماء الاجتماع وعلماء الانثروبولوجي الاجتماعي التي تتسم بتحيّز واضح.

ومثلما برع الغربيون في أقتناء المخطوطات الاسلامية وتجميعها والاحتفاظ بها في مكتباتهم ومتاحفهم، ومن ثم تحصيل الدخل المادي الكبير من بيعها أو من تصويرها لمن يرغب في دراستها وتحقيقها، بما في ذلك أصحابها الأصليون، كذلك نجد الان العديد من الكاتبات، من الغرب أو الشرق، المتحمسات والمدعيات بالعمل على رفع هذا الظلم "الديني" عن النساء المسلمات، يحققن مداخيل عالية من مبيعات كتبهن لعالم يريد معرفة سر هذا التماسك والصمود الغريب للاسرة الاسلامية في عالم متداع اقتصادياً وسياسياً، في مقابل تداعي حالة الاسرة والمرأة وتدهورها في مجتمعات متماسكة اقتصادياً وسياسياً. ولقد انشأت جمعيات ظاهرها مساعدة المرأة "الرازحة" تحت قوانين الاسلام مثل الجمعية الفرنسية المسماة Women Living Under Muslim Laws التي تدعي مساعدة المرأة التي تعيش في البلدان أو المجتمعات الإسلامية على إيصال صوتها إلى العالم الخارجي! (O'Connell 1994). والمفارقة الساخرة هنا هي أن تدّعي المرأة الغربية رغبتها في "تحرير" المرأة المسلمة رغم ان المرأة الغربية نفسها، وبالرغم من مشقة المسار الذي سلكته وصعوبته، لاتزال وكما تثبته الاحصائيات والبحوث الحديثة تعاني من التمييز في فرص العمل والاجر، ناهيك عن حقيقة عيشها في مجتمع نخرته مشاكل خطيرة من تفكك عائلي وزيادة في معدلات الجرائم وتعاطي المخدرات وتفشّي الامراض المستعصية مثل الايدز (نقص المناعة المكتسبة) بسبب الممارسات الشاذة والمخدرات. فهل لنا أن نمحص ما يمكن ان يأتي به الغرب من "خير" للمرأة المسلمة مع فشله في حل مشاكل المرأة في مجتمعاته، ونتورع عن تقليد هذه البضاعة الفاسدة؟

يحلّل هذا الكتاب النظرة الغربية غير السليمة عن المرأة المسلمة، والمبنية على التحامل على الإسلام، ويبيّن أن الدين الحنيف هو الركيزة الحقيقية التي تدعم حقوق المرأة المسلمة وتوفر لها ولأسرتها الاستقرار النفسي والاجتماعي السليم. إذ لا صحة لما يدعيه علم الاجتماع الغربي- من دون وجه حق- من أن الدين الاسلامي هو العامل المشترك بين النساء المضطهدات. كما سيتضح ومن خلال المقارنة مع أديان أخرى ونتائج التغيرات في بنية الأسرة الغربية المعاصرة، إن الدين الحنيف شرع للمرأة وللأسرة والمجتمع أفضل الوسائل لصحة الفرد والعائلة والمجتمع. يقول الشيخ عبد القادر الكيلاني:"ان الدين عند الله الإسلام، وحقيقة الإسلام الاستسلام. عليكم بتحقيق الإسلام ثم بتحقيق الاستسلام، وصفّوا ظواهركم بالإسلام وصفّوا بواطنكم بالاستسلام. سلموا أنفسكم إلى ربكم عز وجل، ارضوا بتدبيره لكم. اتركوا

قدرتكم بقدرة الذي حكم ربكم به عز وجل، اجعلوا ما يأتي به القدر مقبولاً عندكم؛ ربكم أعلم بكم منكم، ارضوا بكلامه موقنين، استقبلوا أوامره ونواهيه بيدي القبول، استقبلوا دينه بكل قلوبكم، إجعلوه شعاركم ودثاركم. اغتنموا حياتكم قبل مجئ يوم لا مرد له من الله وهو يوم القيامة" (الشيخ الكيلاني ١٩٨٩).

يبتدىء **الفصل الأول** بإلقاء الضوء على حياة المرأة المسلمة وحقوقها التي شُرعت منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، حين توّهج النور المحمدي العظيم وأضاء العالم والكون بولادة الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ: **﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾** (المائدة: ١٥). ومن خلال استعراض ما ورد عن قصة الخلق في القرآن العظيم تُقارن صورة المرأة الأولى مع تلك التي وُصفت في كتب العهد القديم والجديد، ثم يُقارن ما ورد في القرآن العظيم حول المرأة بشكل عام مع ما ذُكر في كتب العهد القديم والجديد. يستعرض الفصل بعد ذلك حياة نماذج رائعة لنساء مسلمات عشن في عصور مختلفة منذ بدء التاريخ الاسلامي وإلى يومنا هذا، كامثلة واقعية على الصورة الحقيقية للمرأة في الشريعة العادلة السمحاء. أما الفقرة الاخيرة من الفصل فتتناول بعض الآراء التي تحمل في ظاهرها تحيّزاً ظاهراً للمرأة المسلمة، وفي باطنها غِلٌ وحقد على الإسلام، من خلال استعراض بعض الآراء الواردة في الكتب الخاصة عن المرأة من الشرق والغرب.

أما **الفصل الثاني** فيتضمن دراسة الحالة الثقافية للمرأة المعاصرة في العالم منذ بدء الحركات النسوية بالظهور في مطلع هذا القرن. كما يناقش الفصل قضية تعليم المرأة ودراسة العلوم، مع التأكيد على مسألة نفور المرأة من دراسة العلوم بالاستعانة بالاحصائيات الحديثة والقديمة، وعرض آراء المختصين في الموضوع وتحليلها. وتتخلل فقرات الفصل مقارنات بين حالة المرأة المسلمة والمرأة الغربية من خلال الدراسات الاحصائية.

خُصص **الفصل الثالث** لدراسة حالة الأسرة المعاصرة من خلال أرقام وإحصائيات حديثة عن أعداد ونسب الزواج والطلاق والإجهاض والمواليد غير الشرعيين، وتغيّر معدلاتها مع مرور الزمن، وتأثير كل هذا على النشء الجديد. يبين الفصل من خلال التمييز بين الظروف والتقاليد الاجتماعية التي تقف وراء ما تعانيه المرأة المسلمة أو غيرها من النساء في أماكن العالم المختلفة وبين وضعية المرأة في الإسلام، كما قدرها القرآن العظيم وفسرتها الأحاديث

النبوية الشريفة. حقيقة أن الدين الاسلامي قد اعطى للمرأة ما يحفظها وحقوقها على اكمل وجه وبما هو حريٌ بأن يستقطب حسد نساء العالم أجمع وكما ورد في الاية الكريمة **﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾** (البقرة: ١٠٥).

يصف **الفصل الرابع** طبيعة عمل المرأة في المجتمع المعاصر وتأثيره على العائلة ومن ثم على المجتمع بشكل عام، وربط هذا ببعض الظواهر الخطيرة المستفحلة في المجتمع الغربي المعاصر، مثل الجرائم وجرائم الأحداث إضافة إلى تفشي تعاطي الكحول والمخدرات وما يسببه ذلك من زيادة الجرائم والتفكك العائلي. وتشمل الفقرة الاخيرة معالجة الكنيسة لقضية المرأة والمجتمع وتذبذبها في المساهمة في دعم المجتمع اخلاقيا كما هو متوقع من المؤسسات الدينية، بسبب تغير المفاهيم والمبادئ التي تؤمن بها الكنيسة بين الحين والاخر.

ويشمل **الفصل الخامس** والأخير خلاصة الفصول السابقة ومناقشة مسيرة الحركة النسوية العالمية في وضعها الحالي وما حصلت عليه باعتباره الأفضل للمرأة، وما أدى إليه هذا من تحوّل في الشكل التقليدي للأسرة وما جره ذلك من آثار سلبية على المجتمعات بصورة عامة. وبالرغم من وضوح قتامة هذه الصورة، ورغم وضوح روعة المخطط الالهي العظيم الذي يصون المرأة ويجعل لها مكانة سامية في المجتمع ودوراً نبيلاً في تكوين الأسرة، نجد إرتفاع أصوات في العالم لكثيرين وكثيرات يريدون للمرأة المسلمة أن تلتحق بمسيرة الضياع الفردي والخراب العائلي الذي وصلته المرأة المعاصرة في العالم "المتقدم"، أي "غير المسلم". وتنطبق على هؤلاء الآية الكريمة: **﴿ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾** (النساء: ٨٩)، إذ يحاولون إبعاد المرأة المسلمة عن إتباع دين الفطرة الذي جعله الله عز وجل طريق سعادة الانسان، في كل مكان وزمان، وفيه نجاته في الدنيا والاخرة.

نُظمت المراجع العربية والانكليزية حسب التسلل الأبجدي للأسم الاخير للمؤلف أو الباحث. كما تتضمن المراجع نُبذاً مختصرة عن المؤلف أو الباحث لتعريف القارئ بخلفية الباحث. أما الإشارة الى المراجع في النص فستكون، بصورة عامة، بذكر الاسم الأخير (اسم العائلة) مع سنة نشر الكتاب أو البحث، وعند افتقاد سنة الطبع، كما في بعض المراجع العربية، وُضعت علامة الاستفهام بدلاً من السنة.

وأخيراً لابد من كلمة حول الدافع الأساسي وراء تأليف هذا الكتاب. إذ أن هنالك الكثير من الكتب التي تُناقش موضوع المرأة في الإسلام والتشريعات والقوانين الإسلامية والاجتهادات المختلفة في شؤون المرأة من قبل متخصصي الشريعة الإسلامية، ومن قبل المهتمين بقضايا المرأة من علماء الاجتماع والأنثروبولوجي. كما توجد العديد من الكتب عن المرأة المعاصرة ومشاكلها. أما هذا الكتاب فيجمع الأمرين بطريقة عملية تمكّن القارئ العام والمختص من الاطلاع على مكانة المرأة في الاسلام إضافة الى مقارنة هذه المكانة مع ما وصلت اليه المرأة في المجتمع الغربي كما تورده الدراسات والإحصائيات الحديثة. ومن خلال المقارنة بين المرأة في الإسلام والمرأة في المجتمع الغربي يردّ هذا الكتاب على التهجم المُغرض على الإسلام الذي يقوم به البعض من خلال مهاجمتهم لمكانة المرأة في هذا الدين العظيم، ويبين بأن الرد على هذه التهجمات الظالمة إنما يكون بكشف الواقع المخيف للمراة الغربية لا من خلال الموقف التقليدي لكثير من المسلمين والمسلمات في الدفاع والإعتذار والتبرير. كما يبين الكتاب لفتيات الجيل الجديد المقبلات على الألف الثالث البرهان على فساد ما شرّعه البشر وصلاح التشريع الالهي للدين الاسلامي الحنيف لكل الأجيال وفي كل بقاع العالم وحتى أبد الدهر.

والله من وراء القصد

المؤلفة

شذى سلمان الدركزلي

درم / المملكة المتحدة

تشرين الثاني ١٩٩٥م

الفصل الأول

المرأة المسلمة

المرأة المسلمة

١-١ المرأة الاولى

كانت أمنا حواء أول أمرأة خُلقت بعد أبينا آدم عليه السلام منذ أن شاء الله عز وجل لهذه الارض أن تنبض بعبادته: ﴿وما خلقتُ الجن والانس الا ليعبدون﴾ (الذاريات: ٥٦)، وكان الخلق من نفس واحدة: ﴿ خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ (النساء: ١) لقد ميز الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام عن باقي خلقه وأمر الملائكة بالسجود له: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه﴾ (الكهف: ٥٠) وعلّمه الله عز وجل الاسماء كلها: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾ (البقرة: ٣١)، ثم كان العهد الى آدم عليه السلام الذي نسيه بعد ذلك: ﴿ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما﴾ (طه: ١١٥). ولما أسكنه وزوجه الجنة حذرهما من الشيطان: ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدوٌّ لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ (طه: ١١٧). ولكن الشيطان أزلّهما وذاقا الشجرة المحرمّة: ﴿فلّما ذاقا الشجرة بدت لهما سؤاتهما﴾ (الأعراف: ٢٢). وأعترفا بذنبهما وطلبا المغفرة، فكان الهبوط من الجنة وعداوة الشيطان المستمرة ومحاولاته اغواء نسلهما: ﴿ لنريك من آياتنا الكبرى ﴾ ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾(طه: ٢٣-٢٤). ويصف الشيخ الكيلاني «رحمه الله»، ذلك ببلاغة في فصل التوبة قائلاً: « وجرى كل ذلك بشؤم المعصية والمخالفة. سم المعصية

دب في اجسادهما وابعدهما ثم لقنهما الله عز وجل التوبة والاستغفار فتاب عليهما وغفر لهما" (الشيخ الكيلاني ١٩٨٩).

وبينما يقص الله عز وجل في القرآن العظيم قصة الحق عن خلق سيدنا آدم وأمّنا حواء فإن كتاب العهد القديم، الذي خطته ايدي البشر، جاء بقصة مختلقة عن حادثة الخلق مليئة بخيالات مريضة عن المرأة بالذات. ففي الاصحاح الاول من سفر التكوين (٢٦-٣١) توجد إشارة الى خلق المرأة آنياً مع الرجل، وهذا يتناقض مع ما ورد في الاصحاح الثاني من سفر التكوين (٧-٢٥) من أن خلق المرأة كان بعد خلق الرجل (Aburdene & Naisbitt 1993). وتُعد قضية خلق حواء بعد آدم عليه السلام في نظر النشطات في الحركة النسوية إشارة الى ثانوية المرأة في الخلق وهو أمر يزعجهن! فقد ورد في الاصحاح الثاني عن خلق المرأة العبارات التالية: «... فأخذ واحدة من اضلاعه وملأ مكانها لحماً (٢١) وبنى الرب الاله الضلع التي أخذها من آدم إمرأة وأحضرها الى آدم (٢٢) فقال آدم هذه الان من عظامي ولحم من لحمي هذه تدعى إمرأة لأنها من امرئ أخذت (٢٣). وفي تحميلها مسؤولية الخروج من الجنة ذُكر في الاصحاح الثالث من سفر التكوين (١-١٩) ما يلي: " فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للاكل وأنها بهيجة اللون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل ... (٦) فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت (١٠) ...فقالت المرأة: الحية اغوتني فأكلت (١١)».

وهكذا رسّخ العهد القديم هامشية المرأة في الخلق "كونها خلقت من ضلع آدم" أولاً، وحملها مسؤولية خروج آدم من الجنة "بأغوائه لأكل الثمرة المحرمة" ثانياً. وأكد العهد الجديد أيضاً هذه الفكرة في كتاب تيموثي (تيموثي-١، الفصل الثاني: ١١-١٥). ويأتي هذا مخالفا تماما للرواية القرآنية التي بينت بان الشيطان أغوى كلاً من آدم وزوجه وبالتالي فإن كل منهما تحمل نتيجة معصيته لامر الله سبحانه وتعالى واطاعته لغواية الشيطان؛ كما أكد القرآن العظيم على حقيقة عامة وشاملة هي تحمل كل إنسان نتيجة أخطائه: ﴿**ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى**﴾ (الانعام: ١٦٤).

وتستمر رواية العهد القديم في التركيز على الحط من شأن امنا حواء وتثبيت العقوبة عليها وعلى نسلها من الإناث بسبب "الخطيئة الاولى"، مشيرة إلى أن هذه العقوبة، أو بالاحرى اللعنة، ستتمثل في مشقة الحمل وآلام الولادة، وكما ورد في الاصحاح الثالث من سفر التكوين

(١٤)"وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حياتك بالوجع تلدين اولاداً والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك".

وتُوضح الكاتبات الغربيات مكانة المرأة في المسيحية في العديد من المراجع من خلال ما ورد في كتب العهد القديم والجديد (Aburdene & Naisbitt 1993، Carroll 1983، O'Connell 1994 وغيرها). وعندما يُناقش التناقض فيما ورد في الاصحاح الاول والثاني نجد التبريرات الغريبة من كاتبات الغرب والباحثات عن وسيلة لتحسين صورة المرأة المذنبة في كتبهم التي يقدسونها. فتشير ثيودورا فوستر كارول الى ان سبب التناقض بين فصلي سفر التكوين هو وجود صنفين من الكُتّاب، الصنف الاول يمثله الكتاب الكهنوتيون الذين يعود تأريخ تدوينهم للاسفار إلى حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، والصنف الثاني هم اتباع يهوه الذين دونوا الأسفار خلال القرن التاسع او العاشر قبل الميلاد. وتستطرد كارول فتشير إلى أن معادي الحركة النسوية يستغلون الفصل الثاني لدعم حججهم- ومن البديهي أن مؤيدي الحركة من أمثالها يفضلون الفصل الأول- وأن كلا الفصلين يعكسان ظروف الكُتّاب وعصرهم.

أما قضية الخطيئة الأولى فقد تم تثبيتها، كما تفسر كارول، من قبل الرجال من مفسري العهد القديم، بينما يشير النص، حسب اعتقادها، بكل "لطافة" الى الطبيعة البشرية في التملص من الذنب وإلقاء تبعته على الآخرين: فالرجل القى التّبعه على المرأة والمرأة على الحية والحية على الإله! (Carroll 1983). إن أول تفنيد لتفسير كارول هذا هو معاملتها الحية وكأنها ذات طبيعة بشرية في القائها اللوم على الاخرين. والثاني ان السطور الاولى التي تصف هذا الحدث في النص (أي الاصحاح الثالث:٦)، والتي ذكرت سابقاً، تشرح وبكل وضوح تسلسل الاحداث في هذه "الخطيئة" ومسؤولية المرأة الواضحة فيها. وهكذا نجدهن يجملن كتبهن ويمتدحنها ويبررن التناقضات فيها وفي الوقت نفسه يعشين عن النور الساطع من القرآن العظيم، وكما سيتوضح لاحقاً.

إن مفهوم الخطيئة الأولى غير موجود في الإسلام، وهذا ما لا يخفى على المتخصصين في الدراسات الإسلامية (Schimmel 1982, Smith & Haddad 1982) ولكنه يفاجئ غيرهم مثل عزيزة الهبري (Al-Hibri 1982). كما إن مبدأ عقوبة المرأة ونسلها من الإناث يدحضه ما تشير إليه الاية الكريمه: ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من

الطيّبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (الإسراء:٧٠)، من تكريم بني آدم وتفضيلهم على كثير من الخلق، ودون تمييز بين ذكر أو أنثى، وتحذيرهم من استمرار الشيطان في مسعاه لغوايتهم: ﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾ (الاعراف: ٢٧)، إضافة الى نفي تحميل الوزر الا على من ارتكب الإثم: ﴿من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى﴾ (الاسراء: ١٥) .(أما مشقة الحمل وآلام الولادة فقد أعتبرت ضمن جهاد المرأة في هذه الحياة، ووصى الله تعالى بالوالدين ورعاية الام من قبل الابناء بسبب هذه المشقة: ﴿ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك اليَّ المصير﴾ (لقمان: ١٤) و ﴿ووصينا الانسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾ (الاحقاف: ١٥). ووردت عدة أحاديث نبوية شريفة صحيحة وحسنة في حق الام مثل: « جاء رجل إلى الرسول عليه السلام فسأله، من أحق الناس بصحبتي يا رسول الله، قال :أمك. قال: ثم من!. قال: أمك. قال: ثم من!، قال: أمك. قال: ثم من؟. قال : أبوك». وقوله عليه السلام: وهذه اليد العليا خير من اليد السفلى وإبدأ بمن تعول، أمك وأباك، وأختك، وأخاك ثم أدناك أدناك، إنها لاتجني نفس على أخرى". كما حُرِّم العقوق وعُدّ من الكبائر وكما ورد في الحديث الشريف: «إن الله تعالى حرّم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعاً وهات وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال».

إن اختلاف الخلق من ذكر أو أنثى أو إختلاف الألوان والألسن والاشكال لا يعني تفضيلاً بين صنف وآخر وذلك واضح من الآية الكريمة: ﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات: ١٣)، ومن الحديث الشريف: «ربِّ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره". فمقياس التفضيل في الإسلام هو التقوى والعمل الصالح لاغيره: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (النحل: ٩٧). فما هي أهمية تسلسل الخلق إن كان آدم عليه السلام خُلق قبل حواء؟ فقد بُعث الرسول ﷺ بعد جميع الرسل والانبياء وهو إمامهم.

ويبين الله عز وجل في القرآن العظيم بأن أول حادثة "قتل نفس" في تاريخ بني آدم هي التي حصلت بين ابنيه، وكان سببها حسد الاخ القاتل لاخيه القتيل لأن قربان الأول لم يُتقبل بينما تُقبل قربان أخيه وكما يوضحه النص القرآني: ﴿وأتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً

فتُقبل من أحدهما ولم يُتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين﴾ (المائدة: ٢٧). أما رواية العهد القديم فتشير الى أن الاخوين اختلفا حول إمرأة (النجار ١٩٨٦). وهكذا نرى المرأة تصور مرة أخرى على انها سبباً للمشكلة.

١-٢ النساء في القرآن العظيم

ورد في القرآن العظيم العديد من القصص والسير التي يعظ بها الله سبحانه وتعالى الناس: **﴿ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾** (ابراهيم: ٢٥). وذكر الله عز وجل قصصاً عن عدد من النساء من كلا النوعين، الحسن والسيئ، وكما هو الحال بالنسبة للرجال. ووُصِف الانموذج السيئ بالكفر، مثل أمرأة نوح عليه السلام وإمرأة لوط عليه السلام. كما حظيت بعض النساء برحمة الله عز وجل من خلال الوحي، أو الإيمان بالله عز وجل بالرغم من المحيط المشرك، أو بحصول المعجزات. فأم موسى عليه السلام اوُحي اليها أن تُلقيه في اليم حيث التقطه آل فرعون وتربى في حضن آسيا إمرأة فرعون المؤمنة، بالرغم من كفر زوجها، والتي هي انموذج آخر من هذه الشريحة المختارة: **﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا إمرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾** (التحريم: ١١) ويوضح الشيخ عبد القادر الكيلاني «رحمه الله»، صبرها حين "عذبها فرعون بأنواع العذاب ثم جعل في يديها ورجليها اوتاد الحديد فكُشف عن بصرها وفُتحت لها أبواب السماء فرأت الجنة وما فيها ورأت الملائكة وهي تبني لها بيتاً في الجنة فقالت رب إبن لي عندك بيتاً في الجنة فقيل لها: هذا لك فضحكت، فقال فرعون: ألم أقل لكم انها مجنونة أما ترونها كيف تضحك وهي في العذاب" (الشيخ الكيلاني ١٩٨٩).

كما حصلت معجزة الولادة لمن تجاوزن سن الحمل مثل إمرأة ابراهيم عليه السلام وولادتها لاسحاق عليه السلام، وإمرأة زكريا عليه السلام وولادتها ليحيى عليه السلام. كما وردت أمثلة لنساء تراجعن عن معتقدات وأفعال خاطئة، مثل بلقيس ملكة سبأ التي آمنت وأسلمت عندما رأت عرشها، الذي تركته في اليمن، أمامها في مقام النبي سليمان عليه السلام. وإمرأة العزيز التي حاولت إغواء يوسف عليه السلام، الذي استعصم، مما دفعها إلى

اتهامه وسجنه حتى أنجاه الله عز وجل من بعدما اعترفت هي بذنبها وتابت ﴿قالت إمرأة العزيز الآن حصحص الحق، أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ (سورة يوسف : ٥١).

كما جاء في القرآن العظيم ذكر سيدتنا مريم عليها السلام ومكانتها العظيمة حيث نذرتها أمها لخدمة الرب، وكفلها زكريا عليه السلام بعد أن وقعت القرعة عليه: ﴿وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ (آل عمران: ٤٤). ﴿فتقبّلها ربُّها بقبول حسنٍ وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشـــاء بغير حساب﴾ (آل عمران: ٣٧)، وعندما رأى زكريا عليه السلام عندها رزقاً من الله عز وجل في غير موسمه وسمع تأويلها الحكيم لأصل هذا الرزق دعا ربه قائلاً: ﴿رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾ (آل عمران: ٣٨)؛ فرزقه الله عز وجل بيحيى عليه السلام بالرغم من كبر سنه وعقم زوجته. وأغدق الله عز وجل على السيدة مريم بفضل عظيم إذ جعلها تحمل بعيسى عليه السلام من غير أن يمسها بشر، وما صاحب ولادتها وتلاها لعيسى عليه السلام من معجزات مثل تساقط الرطب عليها في غير موسمه ومناداة عيسى عليه السلام لها وقت ولادته ومـــن ثـــم تكليمـــه الناس وهو في المهد. فكانت سيدتنا مريم آيةً: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ (المؤمنون: ٥٠). وليس غريباً اغفال هذه المعجزات في روايات العهد الجديد، فقد قال الله تعالى في أهل الكتاب ﴿فنسوا حظاً مما ذكروا به﴾ (المائدة: ١٤). وتتميز سيدتنا مريم في القرآن العظيم بأنها من خير نساء العالمين.

أما وصف النساء عموماً في القرآن العظيم فقد ورد بكثرة وبصور متعددة، شاملا موقع المرأة ضمن الاسرة، كزوجة وكأم وأخت وبنت، وعلاقاتها العائلية كافة، كموقعها كعمة وخالة. وساوى الله سبحانه وتعالى بين الذكر والانثى في الثواب: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾ (النساء: ١٢٤)، وبذلك يمكن للانثى أن تكون لها الصفات الصالحة والمراتب الروحية العالية كالرجل سواء بسواء:﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بُشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم﴾ (الحديد: ١٢). كما ساوى القرآن العظيم في العقاب بين الرجل والمرأة:﴿والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم﴾ (المائدة:٣٨). فالمرأة في الاسلام هي صنو الرجل، إذ أُلقي عليها من التكاليف الشرعية

والعبادية مثل ما أُلقي على الرجل، وجعل الاسلام ثواب المرأة وعقابها على أفعالها كما هو الأمر بالنسبة للرجل، من دون تمييز أو تفضيل لجنس على آخر، وهذه إحدى صور العدل الرباني بين خلقه.

كما حُرمت الصور المختلفة للمعاملة السيئة التي كانت تعاني منها المرأة في عصر الجاهلية، ورُفع الظلم الذي كانت ترزح تحته، إذ كانت تُدفن حية (أو ما يطلق عليه بالوأد)، وتُحرم من الميراث، وتورَّث كما تورث البضائع والأموال. وتوضح آيات القرآن العظيم التي تنهي عن الممارسات الخاطئة بحق الانثى، التي كانت منتشرة قبل الاسلام في عصر الظلام المطبق الذي كان يسود العصر الذي سبق انتشار النور المحمدي فما أعظم بلاغة كلمة «الجاهلية» في وصف تلك الحقبه!! ومن العجيب الذي يثير الاستهجان أن نجد بعض الكاتبات مثل نوال السعراوي، يشرن الى أهمية موقع المرأة في العصر الجاهلي وأفضليته على موقعها في الاسلام بسبب تمكنها من تعدد الازواج! (Elsaarawi 1982)، مما يعكس تطابق مبادئ مثل هؤلاء الكاتبات مع الاباحية الشيوعية والغربية. إن التحري العلمي النزيه لوضعية المرأة في العصر الجاهلي يوضح الخطأ الذي وقع فيه من يعتقد بأفضلية مكانة المرأة في الجاهلية. فإذا ترك المرء الوأد والحرمان من الميراث والسبي، ونظر فقط الى أنواع الزواج التي كانت سارية في ذلك العصر، لم يغفل عن إدراك الحالة المتميزة للمرأة في الإسلام مقارنة بحالتها في الجاهلية. فقد أورد الدكتور مهدي فضل الله في مقاله في دراسات عربية (فضل الله ١٩٩٤) احد عشر نوعاً من أنواع الزواج الذي كان سارياً ومقبولاً في الجاهلية، مثل زواج المَقت وهو زواج الابن من زوجة ابيه بعد وفاته والذي حُرم في الاية الكريمة: ﴿**ولاتنكحوا مانكح اباؤكم من النساء**﴾ (النساء:٢٢)، وزواج الشِغار الذي حُرِّم بالحديث الشريف "لا شغار في الاسلام"، وزواج العضل أو زواج الإرث والذي حرم بالاية. كما حُرِّم اجبار الفتيات على البغاء: ﴿**ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء**﴾ (النور: ٣٣). وحُرِّم الوأد ووصف بالقتل: ﴿**وإذا المؤودة سئلت بأي ذنب قتلت**﴾ (التكوير: ٨و٩)، وتكرر ذكر ذلك في كثيرٍ من الآيات القرآنية تشديد على مقته وتحريمه.

إن بعضاً من معاناة المرأة في العصور القديمة، مثل وأد المرأة مع زوجها المتوفى في بلاد سومر، واحتقارها من قبل الاثينيين، استمر حتى عصور متأخرة. فالهندوس يحرقون المرأة مع زوجها المتوفى (أو ما يسمى بالسوتي) ضمن تقاليدهم الدينية في الهند باعتبارها

اضحية او قرباناً يقدم للالهة عند وفاة الزوج. ولقد بقيت هذه الممارسة حتى مائة عام من يومنا هذا حين منعتها الحكومة الهندية، وان كانت لاتزال تحصل حالات قليلة منها حتى الان في القرى النائية في الهند. ولاتزال الارملة في الهند تعاني من الاضطهاد إذ يُقص شعرها وتُعطى فضلات الطعام امتهاناً لها ولا يسمح لها بالزواج ثانية، حتى ان بعضهن يفضلن السوتي على هذا التعذيب. كما ان نسبة الفتيات اللاتي يعانين من سوء التغذية أكبر بكثير من نسبة الاولاد بسبب تفضيل الذكور على الاناث في كل شيء (Carroll 1983). وقد أسهم دخول الاسلام إلى الهند في انقاذ العديد من النساء، بعد تحولهن الى الاسلام، من هذا المصير البشع. كما ان الاطفال من الاناث لا يزلن يقتلن وحتى يومنا هذا في الهند، أما بالتجويع او السم او الدفن وهن احياء. كما تشير المعلومات الى ان قتل حديثات الولادة من الاطفال يحدث الان في الصين أيضاً، حيث تُحرّم الدولة انجاب اكثر من طفل واحد لكل عائلة للحد من النسل، فاذا كان المولود انثى قتلوه وانتظروا مولوداً ذكراً. ويُخشى من ارتفاع نسبة الرجال على النساء في المستقبل القريب وما سيسببه ذلك الإختلال بالتوازن بين الجنسين من مشاكل يصعب تخمين عواقبها (United Nations 1991). وتشير التقديرات الى أن اكثر من مليون طفلة حديثة الولادة قد تكون قُتلت في الصين بسبب هذا القانون (O'Connell 1994). وعند موازنة كل هذه الممارسات الخاطئة الظالمة بحق المرأة نجد أن النور المحمدي الذي غمر العالم منذ أربعة عشر قرناً لم ينقذ المرأة من هذه الممارسات الخاطئة فحسب، بل كرّمها وأعاد لها مكانتها الانسانية الكاملة التي خلقها الله تعالى من أجلها.

كانت تجارة العبيد احدى أهم أنواع التجارة وأنجحها في الشرق والغرب، لما توفره من أيدٍ عاملة رخيصة تعمل في الحقول وغيرها. وبقيت هذه التجارة رائجة حتى العصر الحديث. وكانت تتسم هذه التجارة بسوء معاملة العبيد والقسوة الشديدة عليهم. وكان الاسلام أول من نادى بتغيير معاملة العبيد وحسن معاملتهم وحثَّ على الرفق بهم وعدم تكليفهم فوق طاقتهم، كما شجع على عتقهم وتحريرهم بما اصطُلح عليه بـ "تحرير رقبة" أو "فك رقبة" تكفيراً عمن ارتكب اثماً ما أو طلباً للأجر والثواب من الله عز وجل، وكما ورد في العديد من سور القرآن العظيم مثل: ﴿وهديناه النجدين﴾ ﴿ فلا اقتحم العقبة﴾ ﴿ وما أدراك ما العقبة﴾ ﴿فك رقبة﴾ ﴿ أو اطعام في يوم ذي مسغبة ﴾ (البلد: ١٠-١٤). كما تغيّرت معاملة الأمَة بعد انجابها للولد وحسب الحديث الشريف: «أم الولد لا تُباع ولا تُوهب وهي حرة في جميع مالها»، وابن الأمة حُر

ويلتحق نسبه بوالده. وتستحق أم الولد الحرية بعد وفاة سيدها (خيرت ١٩٧٨). كل هذه التشريعات العادلة كانت قبل حوالي ١٢٠٠ سنة من تاريخ تحريرالزنوج (أو ما يسمى حالياً بالامريكيين من اصل افريقي Afro-Americans) في امريكا. إذ اشتعلت حرب اهلية لمدة اربع سنوات (١٨٦١–١٨٦٥) بين الولايات الشمالية، المؤيدة لقانون تحرير العبيد الذي شرعه الرئيس الأمريكي ابراهام لنكولن، والولايات الجنوبية، التي كانت الثروة الزراعية فيها تعتمد بشدة على استغلال العبيد. ورواية كوخ العم توم الشهيرة، التي كتبتها هارييت ستو (١٨١١–١٨٩٦) في عام ١٨٥٢، تصف بشكل روائي مؤثر أحد أهم أسباب الحرب الاهلية وهو سوء معاملة العبيد والتجارة باولادهم وحرمان الأم من اطفالها الذين يولدون في العبودية ويموتون فيها. كل هذه الأمور كانت تحدث في أمريكا قبل حقبة لا تتجاوز القرن الا بقليل من يومنا هذا.

عانت المرأة السوداء في أمريكا من اضطهادين: الاول لانها إمرأة والثاني لانها من اصل افريقي. وكان التميز العنصري في الولايات المتحدة الأمريكية مستمراً على اشكال عديدة مثل وجود قسمين في وسائط النقل العامة (الباصات) الاول مخصص للبيض والثاني للسود. ولم يُلغ ذلك الا بقانون صدر في نهاية عام ١٩٥٦ بعد العديد من حوادث المصادمات والعنف، منها أن سيدة سوداء جلست يوما في مكان مخصص للبيض فتعرضت للضرب المبرح من البيض والقيت خارج الباص مع انها سيدة محترمة ومدرسّة ثانوية. وكانت أشهر النشطات في الحركة النسوية الرائدة في أمريكا من النساء السود (Hartmann 1989). الا ان التميز في أمريكا لا يزال مستمرا حتى اليوم، ولا يشمل هذا التمييز السود فقط وإنما كافة الأمريكيين الذين هم من اصل غير اوروبي ابيض، مثل الاسيويين والمهاجرين من أمريكا الجنوبية. وما يسمى الان بالتمييز الايجابي positive discrimination، اي تفضيل غير البيض على البيض عند التقدم لعملٍ أو دراسة أو ما شابه، إن هو إلاّ دليل على استمرار وجود التمييز العنصري. وليس ببعيد عنا التمييز العنصري في جنوب افريقيا حيث كانت تسيطر الاقلية الاوربية المهاجرة على الاغلبية من السكان الاصليين من السود وتسومهم سوء العذاب والاضطهاد. ولم يحصل سكان البلاد على حقوقهم الا مؤخراً في عام ١٩٩٤. فما أوسع الفرق بين التشريع الالهي الذي أُنزل في القرن السابع والتشريع البشري المُستَغِّل والمتجبر والظالم الذي استمر حتى يومنا هذا، رغم ادعاء الانسان بالتحضر والمدنية.

١-٣ النساء في كتب العهد القديم والعهد الجديد

لا يمكن على الاطلاق مقارنة ما حوته كتب العهد القديم والعهد الجديد بشأن النساء مع ما ورد في القرآن العظيم، إذ يمتلئ العهد القديم بقصص الغدر والخيانة والغش والخداع للانبياء من قبل نسائهم وبناتهم وبأسلوب يفتقر الى أي نوع من الاحترام أو الحشمة للانبياء عليهم السلام مثلاً : (تكوين: ١٩، ٣٣-٣٥، تكوين: ٣٥، ٢٢) وكثير غيرها. كما نجد العهد الجديد يصف عيسى عليه السلام وهو يحدث أمه السيدة مريم بخشونة مخاطباً اياها بقوله يا أمرأة (يوحنا ٢:٤)، بينما تحتل السيدة مريم عليها السلام في القرآن العظيم موقع أفضل نساء العالمين: ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ (آل عمران: ٤٢). إن هذه الصورة المشوهة والمهينة للمرأة في كتب العهد القديم والجديد تعكس، كما تعتقد كارول، رأي كتاب العهد القديم والجديد المتعددين الذين يصفون وضعية المرأة وحالتها في مجتمع يعود تاريخه الى حوالي ٢٠٠٠ سنة من يومنا هذا (Carroll 1983). وبينما نجد أن النماذج الرائعة للصالحات من النساء اللاتي ورد ذكرهن في القرآن العظيم، أمثلة يحترمها المسلم وتقتدي بها المسلمة، نجد أن الكنيسة كانت ولاتزال مصدر اضطهاد المرأة الأول في الغرب، وذلك لافتقار المراجع المقدسة في الكنيسة إلى الانموذج أو المثال الصحيح عن المرأة. ولنترك النشطات في الحركة النسوية من نساء الغرب يصفن ما ورد في كتبهن "المقدسة" عن المرأة.

يعزى أهم ما ورد في العهد الجديد بشأن المرأة الى القديس بولس، الذي يُعد أنشط وأهم من نشر المسيحية من الجليل الى روما، كما تشير ثيودورا فوستر كارول. الا أنه خالف تعليمات السيد المسيح عليه السلام، الذي كان يعامل النساء بعدل. ولامفر هنا من التساؤل: كيف أصبح قديساً وهو يخالف تعاليم سيده المسيح عليه السلام؟ وتستطرد كارول مشيرة الى إن رسائل بولس تعكس بأمانة رأي العهد القديم نفسه كما ورد في رسائله الى أهل كورينثية (كورنثيوس ١١:٣-١٦)، وتيموثي (٢:٩-١٥)، وورمية (٥:١٩). وتعلل كارول بسبب تشتت بولس وتردده ما بين مبادئ دينه اليهودي الذي كان عليه، قبل تحوله الى المسيحية، وبين تعاليم السيد المسيح عليه السلام. وهكذا رسّخ بولس اسطورة الموقع الادنى للمرأة في الدين المسيحي ووفر الدلائل، للمحافظين من رجال الكنيسة في ذلك الوقت وحتى العصر الحاضر،

لرفض تكريس النسـاء للعمل في المراتب المتعددة في الكنيسـة والخاصـة فقط بالرجال دون النسـاء، فبولس هـو القائل: "ليصمت نساؤكم في المعابد لانه غير مـأذون لهن أن يتكلمن، بل يخضعن كما يقول الناموس أيضـاً" (كورنثيوس: ١٤، ٣٤-٣٥). كما تؤكد كارول على انه بالرغم من ان بولس غيّر الكثير من ارائه بمرور الزمن، الا ان آراءه في المرأة ثَبُتَت ولم تتبدل. وتقارن كارول بين معاملة الاسلام للمراة واحترام دورها كزوجة وأم مع مقولة بولس التي تنص على ان الرجل لا يمكن ان يخدم كلا من الرب والزوجة. كما ان آباء الكنيسة يصفون الرجل بأنه روح ونفس مغلفة بالجسد الا ان المرأة في رأيهم جسد دون روح. وتعتقد كارول ان ٢٠٠٠ سنة من سوء تقدير المرأة في الدين المسيحي آن لها ان تتغير وأن يُفهم ان هذه الاراء اتت من رجال كانوا يعكسون في آرائهم تلك خلفيتهم وحياتهم الخاصة، مثل القديس اوغسطين، الذي يعد احد اكابر رجـال الكنيسة، والذي أسهم هو الاخر في تثبيت الاراء السيئة عن المرأة منطلقاً من تاريخه الشخصي وشعوره بالذنب تجاه ما اقترفه من آثام وخطايا في مقتبل شبابه (Carroll 1983). وعندما درس مجمع رومية، قبل ظهور الاسلام، اوضـاع المرأة أقر بأنها كائن لا نفس له ولن ترث الفردوس ولن تدخل ملكوت السماء وانها رجس من الشيطان (الصالح ١٩٨٠).

تعترض الحركات النسوية على تشجيع الرهبنة في الدين المسيحي، حيث يعتبرن ذلك حطاً من مكانة المرأة ودورها عندما تفضل الكنيسة الرهبنة على الحياة العائلية الطبيعية. وإذا كان هناك تمييز بين الكنائس المسيحية المختلفة، فمعظم الانتقاد يُصب عادة على الكنيسة الكاثوليكية لتمسكها برفض زواج الرهبان ومنعها الطلاق؛ إضافة الى تأكيدها على أن دور المرأة هو انجاب الاطفال ورعايتهم والخضوع التام للزوج، وتحريمها وسائل منع الحمل والاجهاض. في حين غيرت كنائس اخرى، مثل الانجليزية والبروتستانتية، قوانينها مع الزمن. وتمتدح النشطات في الحركات النسوية تشجيع الاديان الاخرى على الزواج والسماح بالطلاق.

كما يُنتقد تعامل الكنيسة الكاثوليكية مع السلطات الحاكمة في دول جنوب شرق اسيا، كالفيليبين، وفي دول أمريكا الجنوبية كالارجنتين، حيث الانفجار السكاني والفقر والمرض والجهل مستمرة في زيادة الهوة بين السلطة الحاكمة وعموم الناس. ولا تُبدي الكنيسة أية محاولة لاصلاح الحالة خوفاً من تهديدات السلطة بالسماح بالطلاق مثلاً او معاكسة أي من

قوانين الكنيسة في حالة قيام الكنيسة بما لا يُرضي السلطات الحاكمة. وتقترح كارول دمج العلاقة بين الكنيسة والسلطة لتحسين حالة المرأة والمجتمع في تلك الدول، في حين تورد في بداية فصلها عن الاسلام مقولة تشير الى ان اعتماد القرآن العظيم كوسيلة لتعلم اللغة والنحو للمسلمين يسهم في خلط الصورة في ذهن المسلم وتشويهها بسبب مزجه بين الحياة الاعتيادية والدين! (Carroll 1983). كما أن اضطهاد المرأة الفرنسية وحرمانها حتى وقت متأخر من الكثير من الحقوق يعزى إلى خضوعها للكنيسة الكاثوليكية، "العدو الرئيسي للجمهورية"، إذ لم تحصل على حق اختيار العمل دون موافقة الزوج الا في عام ١٩٦٥(Hantaris 1993) .

ومما يثير العجب، أن من أمثال كارول ممن يشخصون مشكلة سوء تقدير المرأة في كتبهم المقدسة ومشاكلها التي خلقتها الكنيسةو يحاولون تبرير هذه المواقف السيئة، الا أنهم في الوقت نفسه يتجنون على التعاليم الاسلامية العادلة السمحاء بصورة واضحة! ففي الوقت الذي يزينون ويجملون التشويه الواضح في وجه التعاليم المسيحية التي وضعها بولس، يحاولون وبكل جهد تشويه الوجه الناصع للتعاليم الاسلامية. إلا أن هنالك باحثات اخريات يكتبن بكل علمية ونزاهة عن احترام النظرة الاسلامية للمرأة مثل الدكتورة جين سميث والدكتورة ايفلين حداد المختصتين في تاريخ الاديان (Smith & Haddad 1982). والغريب ان بعض المسلمين يتبنون الآراء والقصص الواردة في العهد القديم، ليس فقط من خلال القراءة المباشرة فحسب وإنما أيضاً من خلال الأدب العالمي الغربي الملوء باساطيره وخرافاته، وبدون أن يشعروا بأصل هذه الافكار أولاً، ولجهلهم بما ورد في القرآن العظيم بشأن تلك القصص ثانياً، ناسين او جاهلين الاساس المتين للمبادئ التي يزخر بها ديننا العظيم والى ابد الدهر، بعكس افتقار الاديان الاخرى ،أو ما تبقى منها، الى ابسط المبادئ التي يحتاجها الانسان لبناء حياة مثمرة في الدنيا والآخرة. ولابد من الإشارة هنا الى ركون بعض الباحثين الى الاحاديث غير الصحيحة التي تُنسب للرسول صلى الله عليه وسلم والملوءة بما ورد في العهد القديم (التي تسمى الاسرائيليات) والتي تخالف بصورة واضحة النص القرآني. إذ كما هو معروف فالاحاديث النبوية تفسر آيات القرآن العظيم ولا تخالفها. فالقاعدة الاساسية في الحكم على صحة الحديث، كما هو معروف، هو عدم مخالفته النص القرآني. إن هنالك جد كثير من الاحاديث النبوية الصحيحة التي تفسر نظرة الإسلام إلى المرأة ومن هذه الأحاديث: «أتقوا الله في النساء» و «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهله» و

«من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يؤذ جاره» و « استوصوا بالنساء خيراً» و «ما أكرم النساء الا كريم ولا اهانهن الا لئيم».

١-٤ نماذج من نساء مسلمات

على من يروم معرفة الحقائق الاسلامية حول المرأة أن يرجع إلى الحقبة المنيرة من التاريخ الاسلامي، أي فترة حياة الرسول الاعظم ﷺ، ليستقي من الحياة العملية ما كان وما يجب أن يكون للمرأة تحت مظلة الاسلام الحانية. وليس الهدف هنا التطرق الى الاحكام والقوانين الشرعية والفقهية الخاصة بالمرأة، وإنما إيراد الأمثلة التاريخية والمعاصرة لتوضيح الصورة الحقيقية النقية لها دون شوائب ودون رتوش أيضاً. ومن الضروري ملاحظة ان ماسيرد من أمثلة لا يعني ان كافة النساء يمكن ان يقمن بشئ مشابه، ولكنها الابداعات الفردية التي تفتحت براعمها تحت ظلال الاسلام في مجتمع صحي مثالي. فلا حيلولة للابدا ع الفردي، من رجال أو نساء، بل تشجيع ودعم لهم. كما أن الحديث الشريف الذي يقرر الحكم على الأمور وهو «إنما الاعمال بالنيات...» هو الحكم الفصل في ذلك، فكل من عمل بهدي الرسول ﷺ وبنيّة صادقة فله أجره أما من عمل وبنيّة مغايرة فعليه إثمه، وليس لبشر أن يعرف أو يحدد النيّة لإنسان آخر والتي يتقرر بناءً عليها جزاء أعمال العباد من خير أو شر في اليوم الآخر.

أولا: سيدات آل بيت النبوة

ان اول إمرأة من الحقبة النيرة في تاريخ الاسلام يُحتذى بها هي أولى المسلمات سيدتنا خديجة عليها السلام؛ التي كانت ذات مكانة خاصة عند الرسول الاعظم ﷺ. ومما يبين مكانتها المتميزة عند الرسول ﷺ هو ذكره لها بعد سنين من وفاتها وتأثره الشديد عندما راى عقدها الذي منحته لابنتها السيدة زينب، اولى بنات الرسول ﷺ، والذي افتدت به السيدة زينب زوجها حين كان من أسرى بدر. فقد كانت السيدة زينب متزوجة من ابن خالتها ابي العاص بن الربيع الذي شهد بدراً مع المشركين فأُسر. فلما بعث أهل مكة في فداء اسراهم،

قدم لفدائه اخوه عمر بن الربيع. وبعثت معه السيدة زينب، وهي يومئذ بمكة، فداء لزوجها قلادة كانت السيدة خديجة قد أهدتها اياها عند زواجها. فلما رأى الرسول ﷺ القلادة، عرفها ورق لها، وذكر السيدة خديجة وترحم عليها وقال "ان رأيتم ان تطلقوا لها اسيرها وتردوا إليها متاعها فعلتم" فقالوا "نعم يا رسول الله « فأطلقوا أبا العاص بن الربيع وردوا على السيدة زينب قلادتها. وأخذ النبي ﷺ على أبي العاص ان يخلي سبيلها فوعده ذلك وفعل.

أما بضعة الرسول ﷺ سيدتنا فاطمة عليها السلام فإن شدة حبه لها تصفه الكثير من الأحاديث النبوية الصحيحة مثل "إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها" و "فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني". كما ورد وصف السيدة فاطمة عليها السلام مع والدتها بالحديث الصحيح "أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم إمرأة فرعون". وكانت من شدة حب السيدة فاطمة للرسول ﷺ إنها لم تعش بعده سوى ستة اشهر، ولقد أخبرها الرسول ﷺ أنها ستكون أول أهل بيته لحاقاً به فأسعدها ذلك وأضحكها بعد أن أبكاها إخباره لها أنه منتقل من هذه الدنيا، وانتقلت من هذه الدنيا ولها تسعة وعشرين عاماً.

ولابد كذلك من ذكر السيدة فاطمة بنت أسد بن هشام بن عبد مناف، زوجة أبي طالب عم الرسول ﷺ وأم الإمام علي كرم الله وجهه، التي رعت الرسول ﷺ عندما كفله عمه أبو طالب بعد وفاة جده عبد المطلب فكانت له الأم الحنون، وكانت ثاني إمرأة تسلم بعد السيدة خديجة. وقد أبرها الرسول ﷺ حتى أنه نزل معها إلى قبرها عند وفاتها وهو ما لم يفعله مع أحد غيرها. وكذلك رعايته لكافة زوجاته وعدله بينهن. أما حبه الشديد ورعايته لبناته فلم يفقه سوى حبه لأبنائهن ففي الحديث الصحيح: "أتاني ملك فسلم علي، نزل من السماء لم ينزل قبلها، فبشرني ان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة"، ما يوضح مكانتهم عند الله عز وجل. فعندما يضع المرء هذه الصورة المثالية للرعاية أمامه لا يسعه الا ان يقر بعظمة ما جلب الاسلام للمرأة ومنذ اربعة عشر قرناً متمثلاً بسيرة الرسول الاعظم صلى الله تعالى عليه وسلم. وقد مشت على هذا الطريق سيدات آل بيت النبوة من الأجيال التي تلت حياة الرسول ﷺ بكل إيمان وإخلاص، وبالرغم من اختلاف الظروف التي استجدت بعد ذلك، ولا يزلن وحتى يومنا هذا المثل الأسمى والمشعل الذي ينير الطريق لمن ترجو الحياة المثمرة والآخرة الآمنة.

ثانيا: الصحابيات

كانت حيوات الصحابيات رضي الله عنهن جميعاً أمثلة أخرى باهرة حين يكون الايمان الصادق هو المحرك والدافع للعمل. ولابد في البدء من الإشارة إلى السيدة سمية بنت خُبّاط أول شهيدة في الاسلام التي لم يضطرها ما قاست من الآلام ومن ثم مواجهة الموت على إنكار إيمانها لانقاذ حياتها من أيدي ابي جهل الذي قتلها وزوجها. إن هذا الصبر الذي أبدته السيدة سمية يصعب حتى على كثير من الرجال، وكان ذكرالرسول ﷺ لآل ياسر شاملاً لهم جميعاً، مما يشير الى رضاه عما فعلت وتقييمه له. وممن تحملن العذاب أيضاً السيدة لُبينة جارية بني مؤمّل بن حبيب بن كعب والسيدة زِنّيرة جارية عمر بن الخطاب اللتان عذبهما عمر قبل إسلامه، فملّ من تعذيب الأولى لصبرها وأفقد الثانية بصرها. وان المرء ليعجب من شدة توقد شعلة الإيمان فيمن يعتبرن في أسفل الهرم الطبقي في المجتمع الجاهلي، وكان ذلك أحد أسباب غيظ المشركين من النور الجديد الذي عشيت عيونهم عن رؤيته، ولكن الله عز وجل اوقد به شرارة الايمان في قلوب الناس رجالاً ونساء، البسطاء منهم والاكثر فطنة.

أما السيدة نسيبة بنت كعب المازنية الأنصارية، الشهيرة بأم عمارة، فاشتركت في معركة أُحد مع أسرتها وهم زوجها زيد بن عاصم وابناها حبيب وعبدالله. وقالت للرسول ﷺ: "يارسول الله ادع الله ان نرافقك في الجنة" فقال ﷺ: "اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة"، فقالت: "لا ابالي ما اصابني من أمر الدنيا بعد ذلك". واستبسلت في الدفاع عن الرسولﷺ خير دفاع فقال لها الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم: "من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة؟"، وقال أيضاً فيها: "ماالتفتُ يمينا ولا شمالا الا ورأيتُ نسيبة تقاتل دوني" (اي تفتديني بروحها). وجُرحتْ إثني عشر جرحا وكان احد جروحها في عنقها، وكانت دماؤها تنزف بغزارة حتى اشفق الرسول ﷺ عليها فقال لابنها حبيب: « أمك أمك اعصب جرحها بارك الله عليكم من اهل بيت». وقد قتلَ مسيلمة الكذاب ابنها حبيب بعد ان عذبه، وشاركت في معركة اليمامة مع ابنها عبد الله الذي سبقها في قتل مسيلمة بعد أن كانت تسعى هي لقتله. (خيرت ١٩٧٨).

ومن الأعمال المشهودة للصحابيات هي مساهماتهن في علاج جرحى المعارك التي خاضها المسلمون. ومن هؤلاء الصحابيات السيدة رُفيدة الأنصارية صاحبة الخيمة المشهورة

بأسمها التي كانت تعالج بها جرحى المسلمين، والسيدة كُعيبة بنت سعد الأسلمية التي كانت لها خيمة أو "مستوصف" طبي في المسجد وعالجت الجرحى في غزوة الخندق.

أما السيدة لبابة بنت الحارث (أم الفضل) زوج العباس بن عبد المطلب فقد سبقت إلى الاسلام أهلها وزوجها ولم تكن تمت بصلة القرابة من الرسول ﷺ. شاهدت السيدة لبابة أبا لهب الذي تخلف عن بدر يهدر كالكلب المسعور ويعض كل من يصادفه حينما بلغه انتصار المسلمين الساحق، وشاهدته يهجم على الصحابي الوديع أبي رافع ويطرحه أرضا ليفتك به، فعاجلته السيدة أم الفضل بضربة قوية من عمود حديدي فوق أم رأسه إصابته بإغماء شديد، فنجا الصحابي من مخالبه، وظل أبو لهب طريح الفراش حتى هلك (حرب ؟).

المثال الآخر هو السيدة صفية بنت عبد المطلب، عمة الرسول ﷺ، التي شاهدت في غزوة الخندق يهودياً يحوم حول حصن فارع بصورة مشبوهة فقتلته وجردته من سلاحه بعد أن جَبُنَ حسّان بن ثابت على القيام بذلك، وكان سلاحها أيضاً عموداً من الحديد. وكان ذلك في غزوة الخندق. وحاربت السيدة خولة بنت الأزور مع خالد بن الوليد، كما حاربت السيدة أم الخير البارقية تحت لواء الأمام علي كرم الله وجهه وكانت تحث المسلمين على القتال بخطب حماسية شهيرة.

أما إسهام المرأة المسلمة بشكل إيجابي وفعال فتشهد عليه أمثلة الكثير من النساء اللاتي أسلمن قبل أهلهن وازواجهن. مثل السيدة أم سليم سهلة بنت ملحان أم الصحابي أنس بن مالك، أحب خدام الرسول ﷺ إلى قلبه، التي اشتركت في معركة حُنين -هوازن- وأبدت شجاعة أعرب الرسول ﷺ عن اعجابه بشجاعتها وفدائيتها وبطولتها، إذ ظل زوجها مالك بن النضر على كفره حتى قُتل في الشام تاركاً لها ولده الصغير أنس بن مالك، فرفضت الزواج حتى يكبر إبنها. فلما بلغ أنس مبلغ الرجال تقدم لخطبتها أبو طلحة زيد وكان مشركاً، فقالت "لا أرضى بك زوجاً حتى تُسلم وإسلامك هو صداقي ولا أريد صداقاً سواه". فلما أسلم على يديها قبلت الزواج منه. كما أن في السيدة سُبيعة بنت الحارث القرشية مثلاً، إذ كانت أول إمرأة أسلمت لله عقب فتح الحديبية، وسبقت أهلها وزوجها المشرك، ثم هاجرت إلى الرسول ﷺ فنزلت فيها سورة الممتحنة. كما مُنح حق الاجارة (وهذه إحدى عادات العرب في إعلان الحماية لمن يستجير برئيس قبيلة أو شخصية معروفة في البلاد) للعديد من الصحابيات مثل السيدة أم حكيم بنت الحارث بن هشام والسيدة أم هانئ بنت عبد المطلب .

نزل الوحي على الرسول ﷺ في إجابة لحالات خاصة للنساء مثل سورة المجادلة بشأن قضية طلاق الظهار، وهو قسم الرجل على إمرأته انها كظهر أمه عليه ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ (المجادلة: ١)، وسورة الممتَحَنَة بشأن من أسلمن وأتين الى الرسول ﷺ عند فتح الحديبية وأزواجهن مشركين ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن﴾ (الممتَحَنَة: ١٠)، والاية السابعة من سورة النساء بشأن السيدة أم كحلة من الانصار التي توفي زوجها وتركها وابنتها فلم تُورَّث ونازعها عم ابنتها ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً﴾، فكان لها نصيب كما أقرته الاية الكريمة.

تمثل الشاعرة المخضرمة تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد (ولدت حوالي سنة ٦٠٠ م وتوفيت في البادية في بداية خلافة عثمان سنة ٦٤٦م) التي لقبت بالخنساء تشبيهاً لها بالبقرة الوحشية في جمال عينيها، أنموذجاً آخر لمساهمة المرأة المسلمة في الحياة العامة. فقد نعت أخويها معاوية وصخر، القتلى في الجاهلية، بأشهر إشعارالرثاء في اللغة العربية. وأشهر ما قالته في أخيها:

يُذكـرُني طلوعُ الـشمسِ صَخـراً وأذكـرهُ لكلِ غـروبِ شـمسِ
ولولا كـثـرةُ البـاكينَ حَـولي عَلى إخـوانِهم لقـتلتُ نفـسِي
فـلا واللّه لا انسَـاك حـتى أُفـارقُ مُـهْجـتي ويشقُ رَمسِي

ولكنها سعدت بإستشهاد أولادها الاربعة تحت ظلال الاسلام في معركة القادسية (٦٣٨م اي ١٦ للهجرة). واستمرت الخنساء في بكائها على إخويها حزناً بسبب وفاتهم على جاهليتهم وحرمانهم من شرف وجزائها الشهادة العظيم، وحين عوتبت على حزنها على من هما في النار قالت: "ذاك أطول لحزني فإنني كنت أبكي لهما من الثار وأنا اليوم أبكي لهما من النار".

عندما قدمت الخنساء مع قومها بني سُليم على الرسول ﷺ لاعلان اسلامهم (عام ٦٣٠م) استنشدها الرسول ﷺ فأنشدته فأعجب بشعرها وهو يقول "هيه ياخنساء" (أنيس الجلساء ١٨٨٨). خرجت الخنساء مع المسلمين لفتح بلاد فارس (عام ٦٣٨م) ومعها أولادها الاربعة تحثهم على الاستبسال في القتال ببلاغة وإخلاص قائلةً: "أنكم اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين وأنتم تعلمون ما أعد الله تعالى للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الأعداء. فإذا اصبحتم غداً سالمين ان شاء الله تعالى فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين فاذا رأيتم الحرب شمرت عن ساقها واضطرمت لظى مساقها، فتيمموا وطيسها وجادلوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والقيامة". فلما بلغها خبر استشهادهم قالت: "الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم، وأرجو من ربّي أن يجمعني بهم في مستقرّ الرحمة" (ديوان الخنساء ١٩٢٩).

لم يكن حال الخنساء كحال بنات قومها في المجتمع الطبقي في الجزيرة العربية خلال عصر الجاهلية بل كانت حالة فريدة بسبب من رفعة نسبها وجمالها إضافة إلى توقد ذكائها وشاعريتها. فعندما خطبها دُريد بن الصمّة قال له أبوها بعد أن رحّب به: "ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها وأنا ذاكرك لها وهي فاعلة" (أنيس الجلساء ١٨٨٨)، ورفضته الخنساء وفضلّت عليه بني أعمامها. هنا ربما يخطر على البال أن الخنساء كانت في قمة الهرم الطبقي، معزّزة مكرّمة في عصر الجاهلية، فما حاجتها إلى الاسلام وما الذي دفعها إليه؟ إن إسلام الخنساء وإسهامها الإيجابي في الجهاد، بالرغم من عدم حاجتها الظاهرية لمزايا الشريعة الاسلامية، يمكن تفسيره بأن الله عز وجل الذي أكرمها بتوقد الذكاء ورهافة الحس ورحمها بتفتح قلبها للإيمان بدين الحق. وقد وفرت الشريعة السمحاء حق أختيار الزوج، الذي كان مقصوراً على نساء الطبقة العليا في مجتمع الجاهلية الطبقي، لكافة النساء المسلمات في المجتمع الاسلامي المتعادل دون الحاجة لحسب أو نسب أو جمال.

ثالثا: التابعات على الطريق

تشهد كتب السيرة والتاريخ بإسهام النساء المسلمات بشكل فاعل وحيوي في كافة نواحي الحياة، واستمر ذلك الإسهام إلى ما بعد انتقال الرسول ﷺ من هذه الأرض. كما

ساهمت المسلمات في الأمور الروحية للمجتمع الاسلامي. إن أول من يرد ذكرها من التابعات اللواتي عُرفن بموقعهن المتميز روحياً هي السيدة رابعة العدوية زاهدة البصرة الشهيرة التي عاشت خلال القرن الثامن الميلادي (٧١٧- ٨٠١) أي (القرن الثاني للهجرة (٩٥- ١٨٥)). فمن حوادث إرشاد السيدة رابعة للناس ومشاركتها في الحياة الروحية للمجتمع هو إنها سَمِعت يوماً رجلاً من العباد يهتف: "اللهم ارض عني". فقالت له: "لو رضيتَ عن الله لرضى الله عنك". فقال: "وكيف أرضى عن الله؟". فقالت: "يوم تسر بالنقمة سرورك بالنعمة، لأن كليهما من عند الله". وتمثلاً بالاية الكريمة **﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾** (المائدة:٥٤)، كانت السيدة رابعة انموذجا رائعا من المحبين، ولاتزال أشعارها في حب الله عز وجل تلهم السالكين على الطريق حتى يومنا هذا، ومن أشهر أبيات شعرها في الحب الالهي قولها: (خميس ١٩٦٤).

أحــبُكَ حــبينْ حُبَ الهَــوَى	وحـــبــــاً لأنكَ أهلٌ لذاكَ
فــأمَــا الذي هو حُبُ الهــوَى	فشُغْلي بذكرِكَ عَمنْ سِواكَ
وأمــــا الـذي أنتَ أهـلٌ لـهُ	فكشْفُكَ للحَـجْبِ حَـتى أراكَ
فَــلا الحَــمــدُ في ذا ولا ذاكِ لـي	ولَكنْ لكَ الحـمـدُ في ذا وذاكَ

ومن اشعارها أيضاً:

فليـتكَ تحلوُ والحـيـاةُ مـريرةٌ	وليتكَ ترضَى والأنامُ غِضابُ
وليتَ الذي بيني وبينكَ عـامـرٌ	وبيني وبينَ العـالمين خَـرابُ

أوردت الدكتورة زينب فريد أمثلة عديدة لنساء تفوقن في الدراسات الدينية وبخاصة رواية الحديث خاصة. فقد ورد في طبقات ابن سعد اكثر من سبعمائة إمرأة روين الحديث عن

الرسول ﷺ. كما ذكر ابن حجر في كتابه الاصابة في تمييز الصحابة سيرة ١٥٤٣ محدثة (فريد ١٩٨٠). ومن سيدات آل بيت النبوة التي كانت راوية محدثة من خيرة المحدثات في عصرها هي السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب. دخلت مصر مع زوجها اسحاق بن الامام جعفر الصادق رضي الله عنه وتوفيت بها سنة (٢٠٨هـ/٨٢٣ م). وكان يجلس في حلقتها مشاهير العلماء والمجتهدين، وكان للمصريين فيها اعتقاد كبير. لما دخل الإمام الشافعي مصر سمع عليها الحديث، ولما توفي عام ٨١٦ م أو ٨١٩ م، أدخلت جنازته إليها وصلّت عليه في دارها (عن ابن خلكان وفيات الاعيان – فريد ١٩٨٠).

كما ورد في كتب التاريخ عن سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني «رحمه الله» (١٠٧٧-١١٦٦ م)، إن أمه السيدة "أم الخير" أمة الجبار فاطمة بنت الشيخ عبد الله الصومعي الحسيني الزاهد، كان لها حظ وافر من الخير والصلاح. ونقل عن السيدة أم الخير قولها: "لما وضعتُ ابني عبد القادر كان لا يرضع ثديه في نهار رمضان. وغم على الناس هلال رمضان فأتوني وسألوني عنه، فقلت لهم لم يلقم اليوم ثدياً، ثم اتضح أن ذلك اليوم كان من رمضان". واشتهر ذلك في بلاد جيلان، أنه ولد للأشراف ولد لا يرضع في نهار رمضان. وقيل أن أمه حملت به وهي بنت ستين سنة، ويقال انها لا تحمل لستين إلا قرشي ولا تحمل لخمسين إلا عربية (التأذفي ١٣٠٣هـ).وقد وصف الشيخ رحمه الله والديه بقوله: "والدي زَهد في الدنيا مع قدرته عليها، ووالدتي وافقته على ذلك ورضيت بفعله. كانا من اهل الصلاح والديانة والشفقة على الخلق" (الشيخ الكيلاني ١٣٠٣هـ). توفي والد الشيخ عبد القادر مبكراً وتولى جده عبد الله الصومعي الحسيني رعايته، وكانت أمه ترعاه رعاية خاصة.

ويحدث الشيخ عبد القادر عن أمه فيقول «رحمه الله»: "كنت صغيراً في بلدنا فخرجت إلى السواد في يوم عرفة. وتبعت بقرة حراثة فألتفتت إليّ البقرة وقالت: "يا عبد القادر ما لهذا خُلقت". فرجعتُ فزعاً إلى دارنا وصعدت إلى سطح الدار فرأيت الناس واقفين بعرفات فجئتُ إلى أمي وقلت لها: "هبيني لله عز وجل وأئذني لي في المسير إلى بغداد اشتغل بالعلم وازور الصالحين". فسألتني عن سبب ذلك فأخبرتها خبري فبكت، وقامت إلى ثمانين ديناراً أورثها أبي فتركت لأخي أربعين ديناراً وخاطت في دلقي أربعين ديناراً وأذنت لي في المسير، وعاهدتني على الصدق في كل أحوالي. وخرجت مودعةً لي وقالت: "يا ولدي اذهب فقد خرجتُ عنك لله عز وجل فهذا وجه لا أراه الى يوم القيامة". فسرتُ مع قافلة صغيرة بطلب بغداد، فلما

تجاوزنا همدان وكنا بأرض ربيك خرج علينا ستون فارساً فأخذوا القافلة ولم يتعرض لي أحدٌ. فأجتاز بي أحدهم وقال: "يا فقير ما معك؟" فقلت: "أربعون ديناراً". فقال: "وأين هي؟"، فقلت: "مخاطة في دلقي تحت إبطي"، فظن أني أستهزئ به فتركني وانصرف. ومر بي آخر فقال مثلما قال الأول وأجبته كجواب الاول فتركني. وتوافيا عند مقدمهم وأخبراه بما سمعا مني فقال: "عليَّ به"، فأتي بي اليه. وإذا هم على تل يقتسمون أموال القافلة، فقال لي: "ما معك؟". قلت: " أربعون ديناراً"، قال: "واين هي؟" قلت: "مخاطة في دلقي تحت إبطي". فأمر بدلقي ففتق فوجد فيه أربعين ديناراً، فقال لي: " ما حملك على هذا الإعتراف؟"، قلت: "أن أمي عاهدتني على الصدق وأنا لا أخون عهدها". فبكى وقال: "أنت لم تخن عهد أمك واني إلى اليوم كذا وكذا سنة اخون عهد ربي"، فتاب على يدي فقال له اصحابه: "أنت مقدمنا في قطع الطريق وأنت الآن مقدمنا في التوبة"، فتابوا كلهم على يدي وردّوا على القافلة ما أخذوه منهم، فهم اول من تاب على يدي (الشطنوفي ١٣٣٠ هـ).

كما يُذكر عن عمة الشيخ عبد القادر المرأة الصالحة أم محمد عائشة بنت عبد الله الزاهد الحسني كرامات كثيرة، ومنها أن جيلان أجدبت مرة واستسقى أهلها فلم يسقوا. فأتى المشايخ إلى دار الشيخة أم محمد عائشة وسألوها الإستسقاء لهم. فقامت إلى رحبة بيتها وكنست الأرض وقالت: "يارب أنا كنستُ فَرُشَّ أنت". فلم يلبثوا أن أمطرت السماء كأفواه القرب ورجعوا الى بيوتهم يخوضون في الماء (الشطنوفي ١٣٣٠ هـ). و (التأذفي ١٣٠٣ هـ).

وتورد الأستاذة آن ماري شيميل أسماء العديد من السالكات على الطريق من مختلف الدول الإسلامية كتركيا وإيران والهند وأسبانيا ومصر ووادي البنجاب والمغرب، اللاتي عشن خلال العصور الاسلامية المتعددة (Schimmel 1982)، مما يشير إلى أن رعاية الخالق البارئ لخلقه تشمل الإناث والذكور دون تفرقة أو تمييز الا بالتقوى. كما اورد غنيمة إسم ١٨ من النساء اللاتي اشتهرن في العلم والحديث من العصور الماضية (غنيمة ١٩٥٣).

رابعا: العصر الحديث

أما في العصر الحديث فإننا نفتقر إلى وجود أمثلة حية للسائرات على هدي الرسول الاعظم ﷺ، ويقتصر الأمر على صفوة مختارة كرست حياتها لخدمة الدين الحنيف، فلا يمكن

أن نجد من يمكن أن نشير إليها كما اشرنا إلى غيرها في الأمثلة السابقة. وسيتم ذكر انموذجين من النساء الغربيات اللاتي اعتنقن الاسلام طوعاً ورغبةً لنطلع على سبب إنجذابهما نحو الاسلام بالرغم من الخلفية "المتحررة" التي كانتا فيها. ورد ذكرهما ضمن اخريات في كتاب غربية أخرى هي جان غودوينخريأخرى (Goodwin 1994) التي زارت عشر دول إسلامية، واوردت الكثير عن المرأة المسلمة. إن غودوين قد أذهلتها هؤلاء النسوة اللاتي تركن مجتمعهن ودينهن لينتمين الى ما يُنعت، جهلاً أو تجاهلاً، بأنه دين متخلف (Carroll 1983). ثم سنلخص بحثين لانموذجين آخرين من الغربيات المسلمات وكيف يصفن المبادئ النبيلة للدين الحنيف.

تقول دَبي هاريس، وأصلها من مدينة شارلوت في ولاية كارولاينا الشمالية، المتزوجة منذ ١٩٨٥ من مهندس مسلم عندما كان يدرس في أمريكا، : "ان الاسلام منحني راحة البال piece of mind وعندما أسلمتُ شعرتُ وكأن أحداً فتح قلبي وسكب فيه الحياة من جديد". تقول دَبي إنها لم ترغب في اعتناق الاسلام عند زواجها، فوافق زوجها على ذلك ولكنه ألح أن يكون دين أبنائهم الإسلام. وعندما كانت حاملاً بأول أطفالهما بدأت تتساءل كيف يمكنها أن تسمح بتربية أطفالها على غير دينها؟ وكانت تنتمي إلى الكنيسة البريزبيتيرية. فتملكتها الرغبة في معرفة الدين الذي سيدين به اطفالها وبدأت تَحضَر دروساً عن الاسلام. عند ذاك بدأت ترى مالم تكن تعرفه سابقاً، وسمعت الإجابات الواضحة لما كان يحيرها ولم تجد إجابته في دينها السابق فأسلمت في عام ,١٩٨٨ وعادت مع زوجها إلى بلده واستمرت في تثقيف نفسها عن الاسلام بحضور دروس الإسلام الخاصة للاجنبيات، وتؤيد وصف مدرستّها المسلمة، التي كانت قد دَرَست هي الاخرى في أمريكا، والتي تقول ان الحرية هي ان تكون بأمان Freedom is to be safe. ولم تجد، كغربية، اية صعوبة في تقبل تشريع القرآن. وتقول دَبي أن كل تضحية تقوم بها لاسرتها فإنها تقوم بها لوجه الله تعالى. فمثلاً تفرغها التام للأسرة وعدم الإعتماد على دور الحضانة لايعني فقدانها لحريتها كما يوصف في بلادها، لان الأم هناك تترك صغارها برعاية الاخرين لتعمل خارج البيت أو تتصرف كما تشاء. وأن أجمل ما في الاسلام هو أن كل ما تقوم به هو للمجتمع ولاشيئ للنفس. صدمت هذه الكلمات مؤلفة الكتاب جان غودوين (Goodwin 1994) عندما قارنتها مع ماسمعته من مسلمات من دول إسلامية مختلفة يرغبن في "التحرر" من هذه القيود والتشبه بالغربيات والحصول على

حرية الاختيار! وَجدُ غريب هنا أن نجد غربيات قد تَركن ما كُنّ عليه، ووجدن الأمان تحت ظلال الاسلام، وألتزمن طوعاً بأمور تجدها بعض المسلمات قيوداً.

ويجدر بالذكر هنا أن جان غودوين حضرت درساً من الدروس الإسلامية للاجنبيات مع دبي هاريس كمشاهدة، وبالرغم من انها تورد الامور التي شهدتها في الدول الاسلامية بصورة تبدو "حيادية"، وكأنها محرر صحفي لا يحشر رأيه الشخصي فيما يصف من أحداث، الا أنها تخلت عن ذلك عندما سألت دبي هاريس التي ذكرت لها التناقضات الموجودة في كتب العهد القديم والجديد عن رأيها في وجود "تناقضات" في القرآن العظيم. لم تستطع دبي اجابتها وهو امر متوقع ممن بدأت تتعلم العربية حديثاً، وكان الاجدر بجان ان تسأل المدرسّة إن كانت تروم حقاً معرفة الاجابة الصحيحة. أما التناقض الذي ذكرته في كتابها فهو ما ورد في الايات الكريمة عن مسألة الحمل والرضاعة وهي كما يلي:

﴿والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ (البقرة: ٢٣٣).

﴿ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير﴾ (لقمان: ١٤).

﴿ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾ (الاحقاف: ١٥).

وحجة جان غودوين هو وجود اختلاف في المدة المقررة، مرة عامين (أو حولين) ومرة أخرى ثلاثين شهراً (أي سنتين ونصف). إن المتمعن في سياق الايات الثلاث ومعانيها يجد أن الإرضاع في الاية الاولى لـ "**حولين كاملين**" ورد عند حصول حالة طلاق بين الزوجين وتثبيت مدة مسؤولية الاب في التكفل برزق وكسوة الام المرضع، فهذا حد شرعي دقيق ثُبت بكلمة "**كاملين**" وكما يتضح جلياً في الآية. أما الاية الثانية فوردت في موقع الحث على رعاية الوالدين مذكرةً بمشقة الحمل على الام وتعبها خلال فترة الارضاع التي تستغرق بصورة اعتيادية عامين. وهذا ليس بالضرورة حالة الإرضاع للجميع فقد يُفطم الطفل، كما هو معروف، قبل ذلك أو بعده ببضعة شهور. أما الآية الثالثة فقد وردت أيضاً في مجال الحث على رعاية الوالدين ووصف هذه الرعاية بالاحسان. وورود "**ثلاثون شهراً**" في هذه الاية يشمل حدثي **الحمل والفصال** (أي الفطام من الرضاعة) سوية. فمعدل مدة الأول تسعة أشهر

ومعدل الثاني ٢٤ شهراً، أي بمعدل ثلاثة وثلاثون شهراً للحدثين سويةً. فاذا أُخذت الاختلافات القليلة بين مدة الحمل ومدة الارضاع عند النساء بنظر الاعتبار، وباستخدام رقم مجازي قريب من المعدل (لآن الامر لايتضمن حداً شرعياً يتطلب الدقة البالغة) كان الرقم ثلاثون هو الرقم الأقرب، وكما يحصل في اي تقريب علمي حديث.

المثال الآخر الذي ذكرته جان غودوين هو إيمان باربر التي أسلمت لسبب آخر. إذ كانت مدرّسة في مدرسة الأحد في مدينة بورتلاند في ولاية أوريغون. تربت تربية دينية، وفي السادسة عشرة من عمرها تزوجت من صديق الطفولة وتركت المدرسة. في الحادية والعشرين كانت قد أصبحت مطلقة وعندها طفلان. وبسبب تدريسها في مدرسة الأحد بدأت تتمعن في كتابها المقدس وتجد الكثير من الاختلافات وعدم الدقة. وصادف أن وجدت كتاباً عن حياة الرسول ﷺ وتعجبت من تشابه المبادئ الاساسية للإسلام مع تلك التي في دينها. عندما نوهت إيمان باربر بذلك لاحد كبار رجال كنيستها أجابها بأنها تقرأ كتاب الشيطان ويجب أن تعطيه الكتاب ليحرقه. صدم ذلك القول إيمان ودفعها في الوقت نفسه لمزيد من القراءة والإطلاع. وفي أحد الأيام أشارت إلى قراءتِها لكتاب عن الرسول ﷺ أمام أطفال المدرسة، فطُردت من التدريس حالاً. وقد أذهلها ضيق أفقهم وهي لم تفعل شيئاً سوى القراءة. وبعد سنتين، (عندما كانت في السادسة والعشرين أي في عام ١٩٧٦) اعتنقت الاسلام، دفع ذلك زوجها الأول إلى رفع قضية لحضانة الطفلين مع زوجته الثانية بحجة أنها لاتصلح لتربيتهم بسبب إنتمائها إلى "جماعة دينية" أو مايطلق عليه cult . وكان حكم المحكمة لصالح الزوج وحُرمت إيمان باربر من طفليها. وتتذكر إيمان كيف سحبت الزوجة الثانية حجابها، بعد صدور قرار الحضانة في المحكمة، من على رأسها وقالت لها مشمئزة: "لماذا لاتستطيعين أن تكوني أمريكية؟". بعد ذلك قدّمت إيمان طلباً لدراسة اللغة العربية والشريعة في إحدى الجامعات العربية. وبعد حصولها على الشهادة الجامعية حجّت وبدأت تُدَّرس اللغة الإنجليزية في تلك الدولة. وتزوجت وطلقت أكثر من مرة ولكنها الآن، وبالرغم من عدم استقرار حياتها الزوجية، بعد ستة عشر عاماً على إسلامها، تفضل أن تكون الزوجة الثانية على أن تعود إلى أمريكا. وتعلق على ذلك جان غودوين مؤلفة الكتاب بقولها: إنها على الرغم من دهشتها لحالة إيمان، فأنها تعتقد أن الكثير من معارفها من النساء اللاتي يعشن بمفردهن في شقق في نيويورك، أو غيرها من المدن الأمريكية الكبيرة، ربما يخترن حالة الزوجة الثانية ومشاركة إمرأة اخرى بدلا من المعيشة

الموحشة المنفردة في تلك المدن التي تفتقد الى الأمن والطمأنينة. ففي بعض المدن قد تخشى المرأة السير وحدها ليلاً، إلا أن في هذه المدن تخشى المرأة أن تمشي وحدها نهاراً! حيث تشير الاحصاءات الى ان في كل دقيقة تحصل حادثة اغتصاب إمرأة في أمريكا كما سيأتي ذكره لاحقاً.

إنّ الكثيرات من المتحولات عن دينهن الأول إلى الإسلام يرين الكثير مما لا تراه أعين بعض المسلمات. ونجدهن أكثر حماسة ورغبة في كشف الغطاء الاعلامي الظالم عن موقع المرأة في الاسلام. فقد كتبت كل من المسلمتين عائشة ليمو الانكليزية وفاطمة هيرين الالمانية عن المرأة في الاسلام للاجابة عن أسئلة الغربيات اللاتي كن يوجهن لهما أسئلة تعبر عن سوء فهم كبير لمكانة المرأة في الاسلام مثل: "هل للمرأة روح في الاسلام؟ وأليست الجنة للرجال فقط في الاسلام؟

تعتقد عائشة ليمو أن الصورة المشوهة للنساء المسلمات عند الغرب، مثل حريم السلطان وقصص زلف ليلة وليلة، لاتعدو سوى اسقاطات لخيالات الغربيين المرضية عن المرأة، ثم تثبت من خلال الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة استقلالية المرأة الروحية والفكرية في الاسلام. كما تشير الى عدم وجود الرزدواجية في المبادئ والاسس الإخلاقية في شجب المذنب وعقوبته إمرأة كانت أم رجلاً (Lemu 1992).

أما فاطمة هيرين فتشير في بحثها عن الحياة العائلية في الاسلام إلى أهمية تفرغ الأم لرعاية أطفالها، خصوصاً وزن أهم فترة من عمر الانسان تبني خلالها شخصيته وكيانه المستقبلي هي فترة الطفولة. تذكر فاطمة بأن تمرد النساء المسلمات في بعض الدول الإسلامية لم يبدأ إلا عندما رأين الرجال ينحرفون عن المسيرة الاسلامية الصحيحة. كما تدافع عن الزواج المرتب في العالم الاسلامي وتقول أنه أفضل من الزواج في الغرب، حيث أن مؤشر الافضلية هو استقرار الأول وديمومته. وفي دفاعها عن التعدد تشير فاطمة إلى حقيقة تحريم العلاقات خارج حدود الزواج فلا توجد علاقات سرية منتشرة كما في الغرب. وتشير وبكلمات غاية في الرقة والصفاء الى سعادتها في حياتها كأمرأة مسلمة وزوجة لرجل مسلم، منحها الإسلام حق الاعتماد عليه ومن خلال المودة والرحمة المشتركة بينهما (Heeren 1992).

أما وقد عُرضت الصور المضيئة لبعض من النساء المسلمات، اللاتي تُمثل حياة كل منهن تطبيقاً عملياً للاسلام ، فمن المهم القاء نظرة فاحصة على الاراء المتحيزة ضد المرأة المسلمة من الغرب والشرق.

١-٥ بعض الآراء المتحيزة ضد المرأة المسلمة

يرد في معظم الكتب والابحاث الحديثة عن المرأة إشارة إلى تشويه متعمد لصورة المرأة المسلمة الذي قام به بشكل متعمد أوائل المستشرقين والرحالة وغيرهم من الباحثين. حيث تُستغل هذه الصورة المشوهة لمهاجمة الدين الحنيف، ويُهمل إسهام المرأة في الحياة الدينية والأدبية والسياسية، ويُصور الاسلام، مثل باقي الأديان، كدين "رجالي" أي يميز الرجال ويفضلهم على النساء اللاتي هن وسائل مسخرة لخدمة الرجل! من الطبيعي إن قادة هذه الحملة الظالمة هم أعداء واضحون للإسلام. إلا أن هؤلاء الأعداء متنفذون وأذكياء إلى الحد الذي نشر هذه الصورة المشوهة عن الإسلام بشكل واسع حتى حوتها الكثير من الروايات والقصص المبتذلة المتداولة بين عامة الناس.

إضافة إلى تأثر بعض الباحثين المسلمين بآراء العهد القديم والجديد وآراء المستشرقين، فإن منهم أيضاً من تأثر بالافكار والمبادئ الشيوعية، إن لم يكن قد اعتنقها وتفاخر بها علانية، فأسهم بطريق ملتو في إيعاز أسباب المشاكل الاجتماعية إلى الدين الحنيف وكما أشير سابقاً. وأفضل ما يمكن أن نستدل عليه هو كتاب إحدى كاتبات ما كان يسمى بالكتلة الشرقية، رمزاً للإتحاد السوفييتي سابقاً ولكل ما يمثل الآراء الشيوعية أو مايصطلحون عليه بالماركسية – اللينينية، حيث يوجد فيه الاساس الذي اعتمدته الكاتبات المعتنقات للمبادئ الشيوعية. وفيه تبدي الحماس الزائف لإنقاذ المرأة المسلمة بالدعوة الى تحديث الدين لأنه السبب فيما تعانيه من مشاكل (شايدولينا ؟)، وتأتي بخلط عجيب من التفسيرات لآيات القرآن العظيم لتدعم رأي المبادئ الشيوعية في الدين الإسلامي، وهذا ليس غريباً فعندهم إن "الدين أفيون الشعوب". وسبحان الذي هدم مبادئهم في مهدها ولم يكتب لها أن تعيش أكثر من سبعين عاماً سامت خلالها شعوبها، ومن تبعها من شعوب العالم، سوء العذاب والذل ولاتزال الكثير من الشعوب تعاني من بقايا آثار تطبيق تلك المبادئ البشرية التي عجزت عن فهم أبسط طبائع البشر. وكل ما تبقى الآن من آثار الشيوعية في بعض دول العالم يبدو في طريقه إلى الاختفاء.

من جانب آخر، نجد الباحثات غير المتحيزات يسجلن الحقيقة المنيرة دون تردد، كما تعترف باتريشيا آبردين وجون نيزبيت عن دهشة النشطات في الحركة النسوية الغربية باكتشافهن ان القرآن العظيم لا يعتبر النساء اقل قدراً من الرجال، كما هو الحال في كتب العهد القديم والجديد، وان ما يحصل في عالم المرأة المسلمة يعود الى التفسيرات أو التطبيقات الخاطئة (Aburdene & Naisbitt 1993)، أما كارول فتشير مرغمة الى أن تنظيم الاسرة الاسلامية شُرع قبل ١٤٠٠ سنة لغرض حماية الركن الاساسي في المجتمع صحياً واقتصادياً (Carroll 1983). فالمرأة المسلمة كانت اول إمرأة في الوجود يُعترف بأهليتها المدنية والقانونية (الصالح ١٩٨٠).

فيما يلي ذكرٌ لبعض من أهم الآراء المتحيزة كمثال لما يرد في كتب الغربيين والشرقيين وبحوثهم، ومعظمها كما سيتضح من قِبل النشطات في الحركة النسوية العالمية في الغرب الرأسمالي والشيوعي، يليها ما يرد من آراء "محلية" طرحنها باحثات كن قد ولدن أو عشن في مجتمعات إسلامية.

اولا: فيرني و بزركان (Fernea & Bezirgan 1977).

من الطريف أن الكتابات الحديثة عندما تعترف بخطأ تصوير المراجع الغربية الأولى للمرأة المسلمة، فإنها تحاول إيجاد تبريرات بريئة لذلك. ففي مقدمة كتاب "النساء المسلمات في الشرق الأوسط يتحدثن" تشير محررتا الكتاب، أليزابيث وارنوك فيرني وباسمة قطان بزركان، إلى أن أوائل الكُتّاب الذين شوهوا الصورة الباهرة الجميلة عن الشرق كانوا من رجال الكنيسة خلال القرون الوسطى الذين بقيت مؤلفاتهم وتراجمهم للمراجع العربية هي المصدر الرئيس للمعلومات عن الشرق حتى القرن الماضي. وتعزو هاتان الباحثتان تحيّز كتابات رجال الكنيسة إلى الحروب الصليبية، وبأن أعينهم كان يغشيها الإيمان! وهنا لا مفر من التساؤل: كيف يمكن للإيمان أن يسبب الغشاوة بدلاً من أن يدل على الطريق الصحيح؟ يقول الله عز وجل: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾ (البقرة:٧). .وتستمر الباحثتان في سرد كيفية تكون صورة الشرق عند الغربيين من خلال هذه العيون المتدينة! وهنا أيضاً نتساءل كيف تكون العيون متدينة وهي تنتج هذا الزيف؟ يقول الله

سبحانه وتعالى: ﴿فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (الحج: ٤٦). ثم جاءت مرحلة الآراء المشوهة من قبل رجال الأرساليات المسيحية والرحالة والباحثين خلال فترة الإستعمار الأوربي. وسبب التشويه الجديد، كما تعتقد فيرني وبزركان، هو أنهم من الرجال المتحيزين ضد النساء بصورة عامة! أما علماء العصر الحديث فقد شقوا الطريق الصحيح باعتماد المصادر الأصلية باللغة العربية وأهملوا الترجمات والآراء القديمة فتمكنوا من الرؤية الواضحة.

وبالرغم من صحة التسلسل التاريخي لما وصف في مقدمة كتاب فيرني وبزركان إلا أن المرء ليعجب من تحيز الكتاب الغربيين لتاريخهم بالرغم من إدعائهم النزاهة العلمية. فالحروب الصليبية وإن كان ظاهرها هو نشر الدين المسيحي إلا إن المؤرخين الصادقين يؤكدون أن هدفها الأساسي طمع الغرب في ثروات الشرق فيما كان الدين مجرد غطاء للمطامع المادية، فلا صحة إذن لتبرير تحيز كتابات رجال الدين بأنها نتيجة لكونهم متدينين بل في الحقيقة لأنهم متدنين. ولم يختلف الغزاة في عصر الاستعمار عن أسلافهم بكثير فقد قال اللنبي قائد القوات البريطانية عندما دخل القدس في ١٩١٧/١٢/١١" اليوم انتهت الحروب الصليبية"، أما غورو الذي أحتل دمشق على رأس القوات الفرنسية فقد وقف على قبر صلاح الدين وقال:"ها قد عدنا يا صلاح الدين" (نسيبة ١٩٩٤)، أي أنهم عادوا وبعد ٧٣٠ سنة من الحقد والضغينة لصلاح الدين الأيوبي الذي طردهم منها خلال الحروب الصليبية وحرمهم من خيراتها. ومن سخرية القدر أن العرب أنفسهم فتحوا الطريق لقوات الحلفاء لدخول البلاد وخُدعوا بوعودهم الكاذبة بالإستقلال، فاستعانوا بهم ضد الدولة العثمانية المسلمة فأنطبقت عليهم الآية القرآنية الكريمة: ﴿أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾ (البقرة: ٦١). ثم تستمر الكاتبتان فيرني وبزركان في استنتاجات "حديثة" وتخريجات غريبة تعتمد على استنتاجات باحثين آخرين من إن المرأة في الجاهلية كان لها موقعٌ متميزٌ ودليلهما على ذلك هو تعدد الأزواج، وهي فكرة، كما سيتبين، تتكرر عند الكثير من الباحثات.

أما قضية الماترياركي matriarchy (سيادة الأم أو المرأة) وهي تعاكس الباترياركي pa-triarchy (سيادة الأب أو الرجل) فتتكرر في معظم الكتابات عن المرأة. هي فكرة نظرية، لم تثبتها البراهين الكافية حتى الآن ، تشير إلى حقبة زمنية قديمة يُعتقد أن المرأة كانت خلالها هي الحاكمة والمسيطرة على كافة الشؤون وإليها كان ينسب الأبناء. ونجد نظرية الماترياركي

هذه بوفرة في كثير من الكتب ولوصف العديد من الشعوب مثل عرب الجاهلية، بدليل وجود آلهة بصفات الأنثى مثل اللآت والعزى، والشعوب الهندية، بسبب الآلهة الهندية مثل شاكتي وكالي وغيرها، وعند اليونان، بسبب الآلهة أثينا وآرتميس، وعند قدماء المصريين بسبب الآلهة ايزيس (Aburdene & Naisbitt 1993). إلا أن فيرني وبزركان تدحضاها ببساطة بالقول إنه ربما بعد آلاف السنين عندما تُذكر رئيسات الوزراء مثل مارغريت ثاتشر وبناظير بوتو يمكن أن يُستنتج من أن المجتمع العالمي في القرن العشرين كان ماترياركي!

من الغريب أن نظرية حقبة الماترياركي هذه، رغم عدم وجود ما يسندها من دليل أو برهان علمي، تُتداول في معظم كتابات الحركة النسوية كبديهة لاتحتاج إلى اثبات. كما أن هذه الكتابات لا تفسر سبب تحول موقع المرأة من قمة الآلوهية إلى حضيض الوأد أو السوتي (حرق الأرملة مع زوجها المتوفي في الهند). ولا تشابه هذه الفكرة النظرية النظريات الأخرى مثل تلك التي تبحث عن سبب إنقراض الديناصورات، فقضية انقراض الديناصورات من الأمور التي يصعب على العلماء وحتى يومنا هذا إيجاد سببها: هل هو تفجير نووي طبيعي أم سقوط نيزك أم البرد الشديد أم تلوث البيئة لسبب ما؟ وهذه النظريات تحاول تفسير أمر حدث فعلا في الماضي؛ إلا أن الماترياركي نظرية تعتمد على مجرد افتراض وليس على أمر حدث فعلاً.

كانت نظرية الماترياركي قد ابتدعتها في الستينات عالمة الاثار الليثوانية الاصل ماريا غيمبوتاس Marija Gimbutas الأستاذة في جامعة كاليفورنيا، ودحضها العديد من علماء الآثار الآخرين. بَنَت نظريتها على اساس ما عُثر عليه، بعد الحرب العالمية الثانية، من آلاف التماثيل التي تمثل جسد المرأة في أوربا القديمة. وتستنتج غيمبوتاس ان ذلك يعني أن المرأة كانت تُعبد خلال الفترة التي يُقدر إنها تصل إلى ٣٠ الف سنة قبل الميلاد. وأن تلك الفترة كانت فترة سلام حيث لم يعثر على اسلحة أو مبانٍ دفاعية خلال الفترة ٧٠٠٠ سنة إلى ٣٠٠٠ قبل الميلاد (أي العصر الحجري الوسيط: ١٠٠٠٠ – ٤٠٠٠ قبل الميلاد) في جنوب شرق أوربا، والفترة ٤٥٠٠ سنة الى ٢٥٠٠ قبل الميلاد (أي العصر الحجري الحديث: ٤٠٠٠ – ٢٠٠٠ قبل الميلاد) في غرب أوربا. وقد تم تدمير هذه الحضارة النسوية، حسب نظرية غيمبوتاس، من قبل من تسميهم بالكورغان Kurgans القادمين من روسيا بخيولهم وحرابهم حوالي سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد حيث تشير إلى العثور على آلاف الخناجر والحراب خلال العصر

البرونزي القاسي (العصر البرونزي: ٨٠٠ - ٢٠٠ قبل الميلاد) وهكذا ظهر العصر الرجالي في أوربا القديمة (Aburdene & Naisbitt 1993). إلا أن التاريخ المدون يُثبت أن انتشار معتقد تأليه النساء الذي عمّ العالم القديم بأسره لم يصاحبه عهد ماترياركي، فاللآت والعزى ومناة كن آلهات لمن يئد البنات في الجاهلية، وشاكتي وكالي وغيرهن عُبدن في مجتمع الهند الذي مارس السوتي (حرق الأرملة مع زوجها المتوفى)، والإعتقاد بآلهات اليونان عاصر احتقار المرأة فكرياً في تلك الحضارة التي تركت آثاراً عميقة في العصور التي تلتها وعلى بقاع كثيرة. وعلى الشاكلة نفسها فان الصور والاعلانات الفاضحة المنتشرة الان في صحافة العالم لا تعني عبادة المرأة بل تعني عبوديتها الجديدة.

ثانيا: ثيودورا فوستر كارول (Carroll 1983).

انتقل تشويه صورة المرأة المسلمة بتسلسل طبيعي من أيدي الرحالة ومستشرقي القرن الماضي إلى أيدي باحثات العصر الحديث من النشطات في الحركة النسوية العالمية، حيث استلمن الأرث وحافظن عليه بصياغة جديدة للفكرة القديمة نفسها من خلال مهاجمة الدين الحنيف بتوجيه اللوم كله على الرجل باعتباره من قام بابتكار الدين. وعلى الرغم من ادعاء الجميع اعتماد المصادر الاصيلة بلغتها الاصلية لاستخلاص المعلومات بدلاً من اعتماد ترجمات رجال الارساليات والرحالة وآرائهم، فإن ما يبين زيف هذه الإدعاء هو تكرار الآراء القديمة نفسها دون تغيير. فتذكر كارول في فصل في كتابها خصصته للدين الاسلامي، وفي اقل من ١٨ صفحة، مافهمته من تاريخ وتشريع الدين العظيم وأثره على المرأة. وبينما يتضمن الفصل الكثير من التناقضات فانه يتذبذب بين الاستنكار الواضح والتسليم كرهاً بالوقائع التي لا تستطيع تشويهها.

تبدأ كارول بنفي كون العرب ساميين أي من أولاد سام أبن النبي نوح عليه السلام لأسباب انثروبولوجية دون ذكر لمرجع علمي أو شرح مقنع. وتكرر فكرة أن مجتمع الجزيرة العربية كان ماترياركياً بسبب وجود الأسماء الانثوية للآلهة مثل اللآت والعزى ومناة، أيضاً من غير دليل. وهو رأيٌ طرحته أيضاً في نقاشها للدين الهندوسي. كما تدعي وجود مكانة متميزة للمرأة في المجتمع الجاهلي متمثلة في تعدد الأزواج وإن الإسلام هدم ذلك واستبدله بتعدد

الزوجات، ومرة أخرى سبق ذكر هذا في فصل الدين الهندوسي. ومن الغريب أن تذكر في موضع آخر أن الإسلام غيّر التعدد غير المحدود في العصر الجاهلي إلى تعدد محدود، وفي موقع آخر الى أن الزواج في العصر الجاهلي كان فوضى نظمها الاسلام بعد ذلك.

تستنتج كارول، وكأنها أول من أستنتج ذلك، أن الرسول ﷺ قد درس الديانتين اليهودية والمسيحية، من خلال ملاحظته لمراسيمهم في الصدقة والصلاة والصوم، من مؤسساتهم الكنسية ومن دراسة متعمقة لكتبهم! ومن الجلي أن هذا الرأي القديم يمكن دحضه بجملة حقائق متفق عليها اولها أن الرسول ﷺ كان أمياً وأن كتب اليهود والمسيحيين الدينية كانت بلغة غير عربية ولم تترجم للعربية إلا في عصور متأخرة، وهذا ما لا يختلف عليه إثنان، إضافة الى أن كتبهم كانت نادرة العدد ومحدودة التداول، ولم تتجاوز "مؤسساتهم" بعض الاديرة المتناثرة في أماكن نائية معظمها تعتق الخمور لتبيعها للمسافرين. وقد ذكرت كارول نفسها في الفصل الخاص بالمسيحية والتعليم كيف ان الكهنة كانوا يكتمون ما عندهم من معلومات دينية لتثبيت مراكزهم وليستطيعوا السيطرة على العامة روحيا وماديا (Carroll 1983)، فكيف تمكن الرسول ﷺ من دراسة كتبهم بلغتها ان كانت ممنوعة على ابناء العوام من دينهم؟ وكيف استنتجت ان الرسول ﷺ درس مراسيمهم مع ان الزكاة في الاسلام لا وجود لها في أي دين آخر، كما أن صلاة المسلمين وصيامهم لا يشابهها صلاة وصيام غيرهم؟

أما في فصل الإسلام والتعليم فتذكر كارول في بدايته أن أول أشكال التعليم الابتدائي كان فيما يسمى بالكُتّاب حيث يقوم المعلمون من اليهود والمسيحيين بتعليم القرآن والسنة! أن هذا الادعاء الذي لابد انها استنتجته لوحدها هو في غاية الضحالة، فأي مسيحي أو يهودي يقبل ان يدرِّس القرآن العظيم لمسلمين؟ وأي مسلم يقبل لطفله أن يتعلم القرآن على يد يهودي أو مسيحي؟ وتقتبس كارول مقولة من جين متى (مؤلفة كتاب حضارة الإسلام)، افتتحت بها فصل الاسلام وهي: "ان دراسة القرآن والسنة كوسيلة لتعلم اللغة والنحو ادى الى الخلط وعدم التمييز بين الدين والحياة اليومية عند المسلمين". أن هذه هي احدى أهم نقاط الخلط عند الغرب، فالاسلام هو كلٌ لا يتجزأ في حياة المسلم وليس كما هو حالهم الذي يتبعونه في كتبهم من التاكيد على فصل ما لله عما لقيصر (متى: ٢٢-٢١). وحين تأتي كارول إلى انتقاد الكنيسة الكاثوليكية، (وهي غير الكنيسة التي تنتمي إليها)، فانها تدعوها للاتفاق مع السلطات الحكومية في دول العالم الثالث لكي يتم التوصل الى حل لمشكلة الانفجار السكاني وتحديد

النسل الذي تعارضه الكنيسة الكاثوليكية بكل قوة. كما أنها تشير الى مسألة عدم المساواة في تعليم المرأة التي استمرت في الفاتيكان حتى ستينات هذا القرن. ومن خلال الأرقام القليلة التي توردها عن التعليم في العالم الاسلامي والخاصة بالمناطق الريفية في بنغلاديش والباكستان، وهي أفقر بقاع الأرض، تستنتج كارول تأثير الاسلام السيئ على تعليم المرأة! متجاهلة الأرقام الباهرة بصورة عامة في العالم الاسلامي بشأن تعليم المرأة والتي سيرد ذكرها في الفصول القادمة.

لا تجد كارول أية غضاضة بعد ذلك في ذكر الفروقات الجذرية بين نظرة الاسلام إلى المرأة ومبادئ المسيحية التي سبق تلخيصها في فقرة سابقة، وإن كانت تتبعها بملاحظات موتورة. فالطلاق في الإسلام في رأيها هو لصالح الرجل، ثم تشير مجبرة إلى أن شروط الاسلام الصحية والاجتماعية لتكوين العائلة يمكن (ولا تقول يجب!) اعتبارها رائدة قضية تنظيم الاسرة، مع علمها بعدم وجود سابقة لذلك ضمن التاريخ البشري كله. وتذكر بأن المعتذرين والمبررين لتعاليم الرسلام (الخاطئة من وجهة نظرها) والمتأرجحين بين القديم والحديث، يتعمدون التفسير الخاطئ وسوء الفهم للقيم الغربية لغرض الاستمرار بالممارسات القديمة مثل التمسك بعفة المرأة والحجاب وتعدد الزوجات وحرمان المرأة من التعليم! وهذه القيم الغربية المُساء فهمها تتمثل عند هذه الباحثة باستقلال المرأة وحريتها في العلاقات قبل الزواج وبعده والأمور الاباحية الاخرى التي تتحسر كارول على حرمان المرأة المسلمة منها. ثم تقدم "النصيحة" بأن القيم الغربية يمكن أن تُكسب الاسلام القوة وتمنحه الإيجابية والحيوية التي يفتقد اليها، كما وتحذر من ان عدم قبول التحديث الذي تقترحه سيؤدي إلى تحول النساء المسلمات عن دينهن او جعله هامشياً في حياتهن على أقل تقدير. ثم تستمر في الفصل الخاص بالكثافة السكانية وإرتفاعها في العالم الإسلامي في مشابهة الاسلام مع التعاليم الكاثوليكية والهندوسية فيما يخص موقع المرأة في العائلة ورفض الإجهاض كوسيلة لتحديد النسل وغيرها، مع أنها كانت قد ميزت بين هذه التعاليم بشدة في فصول سابقة. أن حالة المرأة في الغرب التي تدعو كارول المرأة المسلمة أن تشاركها بها، وكما سيتضح في الفصول التالية، لا تتميز إلا بالمساواة مع الرجل من ناحية الاباحية والتحلل الأخلاقي، أما عدم المساواة في فرص العمل والاجور والدراسة والبحوث العلمية فلاتزال المرأة الغربية تعاني من اضطهاد فيها حتى يومنا هذا.

ثالثا: الكسندر وغويرا وآبوردين ونيزبيت

(Alexander 1983, Guerra 1990, Aburdene & Naisbitt 1993)

نجد في فصل النساء والدين من كتاب موراغ الكسندر إشارة الى اختلاف التفسيرات للشريعة فحديث الرسول ﷺ : (إنما النساء شقائق الرجال) وآية تعدد الزوجات إعتبرتهما واجهة تناقض! والحقيقة هي انه لايوجد أي تناقض هنا فالحديث يثبت مكانة المرأة في الاسلام؛ بينما تصف الآية القرآنية حالة تنظيم أسري واجتماعي تأمل الغربيات من غير المسلمات إمكانية تطبيقه في مجتمعاتهن، ففي هذا التنظيم احترام للمرأة ودعم لمكانتها وبديل عن العلاقات السرية الآثمة والمهينة للمرأة أكثر منها للرجل المتزوج الذي يحصل على ما يرغب به من النساء بأبخس الاثمان، بينما تبقى المرأة الاخرى تتستر على علاقتها حتى لا تكتشف الزوجة أمرها وتلجأ إلى الاجهاض للتخلص من نتيجة العلاقة. أما في حالة تعدد الزوجات فإن الرجل يتحمل مسؤولية الزوجة الثانية واولادها وتحتفظ الزوجة الأولى بمكانتها وحقوقها وكرامتها كاملة.

تنتقد الكسندر وضع المرأة المسلمة بسبب الزواج المرتب arranged marriage من قبل العائلة، مع أنهم في الغرب عموماً، يرتبون زواج الشخصيات المهمة عندهم، مثل ولي العهد أو الأميرات لما قد يترتب على الإختيار الحر من مشاكل للدولة؛ فقد رُفضت رغبة تشارلز ولي عهد بريطانيا بالزواج بمن يرغب، لأن من رغب في الزواج منها تتبع الكنيسة الكاثوليكية وليس الانجليزية وبذلك فان ابنهما ،إن تزوجا، لن يكون اهلاً لكي يلي والده تشارلز في الحكم! واجبروه على الزواج من دايانا التي "أعدوها" له من صغرها، ولم يدم زواجهما كثيراً. من هذه الحادثة يمكن ملاحظة أمرين الأول هو اننا في الوقت الذي نجدهم في الغرب يتشددون ضد احدى كنائسهم إلى هذا الحد فانهم في الوقت ذاته يستنكرون تحديد الدين الإسلامي لرئيس الدول التي اغلب سكانها من المسلمين والتي تشمل على بعض الاقليات غير المسلمة؟ الأمر الثاني هو فصلهم بين ما يصح لعلية قومهم من الأمراء أو لشريحة معينة وبين ما يصح لباقي الناس فالراهبات المسيحيات يلبسن الملابس المحتشمة أما باقي النساء فلا مانع من أن يلبسن ما يشأن من ملابس فاضحة. وعند مقارنة ذلك مع شمولية أحكام الإسلام لكافة المسلمين الاغنياء والفقراء، نجد أن المبدأ المطلق للفضيلة يشمل الجميع. فالحذر والتروي في اختيار

الزوج الملائم للفتاة ومن ثم استحصال موافقتها لاتمام الزواج يشمل الجميع. ولا هدف من هذا سوى حماية المرأة وصيانتها والمحافظة عليها من سوء اختيار الزوج واحتمال معاناتها وأطفالها بعد ذلك. كما أن الملابس المحتشمة ضرورية لجميع النساء وليس لبعض منهن دون الاخريات، لحمايتهن من الكثير من الأمور التي تعاني منها المرأة الغربية بسبب من تخليها عن الحشمة والادب والتي تثبتها الاحصائيات الرهيبة للاعتداء على النساء في الغرب كما سيُذكر في الفصول التالية.

أما أغرب ما يمكن ان نجده من انتقاد فهو ما ورد في رسالة ماجستير آنا أوبانون غويرا المقدمة إلى جامعة اريزونا في أمريكا. قامت غويرا باجراء استبيان بين النساء المسلمات المهاجرات إلى أمريكا من الشرق الاوسط واللاتي ينحدرن من أصل قروي أو ريفي، تستفسر فيه منهن عن عادات الاستعداد لاستقبال المولود الجديد، من مراجعة الطبيب والاهتمام بصحة الأم والاستعداد بتجهيز ملابس الطفل الجديد. استنتجت صاحبة الرسالة أن المرأة المسلمة لا تستعد للولادة مثل باقي النساء لانها تعتقد ان الحمل والولادة تتم بارادة الله تعالى. لذلك فمن الخطأ الاستعداد لها لان ذلك يعتبر تدخلاً واعتراضاً على إرادة الله تعالى. (Guerra 1990)! إن مثل هذا الاستنتاج المبني على مثل تلك الدراسة إنما يستدعي الضحك أكثر من أي شيء آخر، إذ متى كانت الشرائح الخاصة الضئيلة العدد مؤشراً على الأغلبية؟ إن هذا الاستنتاج العام من دراسة من أنموذج معين من عدد ضئيل ترفضه أبسط قواعد الاحصاء العلمي الصحيح. وهنا لا مفر من التنويه الى ان الازمة الاخلاقية في الغرب وتحيزه ضد الاسلام جعلت الغربيين يبحثون عن أتفه الأمور لكي يشوهوا صورة المرأة في الاسلام.

أما آبوردين ونيزبيت فيشيران إلى أن النساء في الريف التركي يشجَعن على تسجيل زواجهن الشرعي في الدوائر الحكومية ليحصلن على حقوق الميراث والحضانة، وكأن زواج القرويات حسب الشريعة الاسلامية يحرمهن من ذلك! إلا أن ما يحصل في ريف تركيا وفي أرياف كثير من الدول الاسلامية إنما هو اتمام لمراسيم الزواج الشرعي من دون تسجيل في سجلات رسمية تدعم حق المرأة عند حصول مشاكل. إن القوانين الشرعية تطبق بين كل طبقات المجتمع في الإسلام، وحصة المرأة في الميراث وحضانة الاطفال محددة وبأدق التفاصيل. وعند ذكر العنف والاعتداء على النساء يشار الى ظاهرة قتل النساء المعتدى عليهن في البلدان العربية من قبل الأقارب غسلا للعار أو محافظة على شرف العائلة وسمعتها

(Aburdene & Naisbitt 1993). فلا يحق للقريب ان يأخذ بالقصاص وإنما يترك تنفيذ الحكم الشرعي إلى أولي الأمر. كما ان تنفيذ الحكم الشرعي يجب أن يطبق على الآثمين كليهما. وأشارت جان غودوين (Goodwin 1994) أيضاً الى هذه الظاهرة في الباكستان وغيرها من الدول الاسلامية حيث تُتهم المرأة المُعتدى عليها عند تبليغها الشرطة بالحادث، وفشلها في الحصول على شهود يؤيدون إدعاءَها، وتُسجن بتهمة القذف في حين يبقى المعتدي حراً. لاريب إن هذه التقاليد العشائرية أو الاعراف الاجتماعية - إن كان ما يذكر صحيحاً - تنحرف في هذه الحالات عن الشرع الحنيف. ففي حالة عدم وجود الشهود في قضايا الاعتداء لابد من تحقق الأمر بطريق التقصي المعروفة والاستجواب والقسم لضمان معاقبة المعتدي. وتعاني المجتمعات الاسلامية المجاورة لغيرها من تداخل العادات، كما في حالة المجتمع الباكستاني والهندي، والتي تمثل انحرافات عن تطبيق الشرع الحنيف.

رابعا: لويزا شايدولينا (شايدولينا ؟).

لم يكفنا أن يتهجم الغرب المسيحي على الاسلام والمرأة المسلمة، مدفوعاً بتراكمات الحروب الصليبية وحاجته الشديدة لبترول الشرق الاوسط، وإنما انهمرت على الاسلام أحقاد سببها مبادئ ظهرت في هذا القرن وهي الشيوعية. فقد نفر المسلمون عموماً من هذه المبادئ ورفضوها ماعدا قلة وجدوا فيها باباً للوصول الى منافع شخصية. فهذه لويزا شايدولينا (وهي من الاتحاد السوفييتي-سابقاً) تستهل كتابها بجملة "الإيمان الأعمى بالمعتقدات الدينية" الذي تصف به المرأة المسلمة لأنها، أي المرأة المسلمة، تسعى بشكل وطيد للحفاظ على الاواصر التقليدية للاسرة! وتستخدم هذه الكاتبة مصطلح "الرجعية" البالي لوصف المحافظة على التقاليد الاسلامية في مجال العلاقات الاسرية. وتؤكد شايدولينا ان "تحديث الدين" هو أمر محتوم مرتبط بالدرجة الأولى بالانحسار الكلي للعلاقات الاجتماعية التقليدية لتحل محلها المفاهيم الشيوعية المندثرة، وتتفاخر بأن الماركسية-اللينينية تفهم المساواة بين الرجل والمرأة على أنها مساواةٌ في العمل وفي الحياة الاجتماعية ولا تنطلق من تحديدها لهذه المساواة بينهما من السمات والقدرات الجسمانية مشيرة الى ما تدعي من أن التمييز بين المرأة والرجل في الاسلام هو من خلال ضعف الاولى وقوة الثاني.

كما تفسر تحديد تعدد الزوجات على انه "كان لصالح مُلاك العبيد والتجار الذين لا يرغبون في تبديد ثروتهم بين أطفال عديدين" وبذلك ثبّت الاسلام في نظرها "قانونياً عدم مساواة المرأة للرجل وتبعيتها المعنوية والاقتصادية له "! ولربما من غير المنطقي لوم شايدولينا على مثل هذه النظرة المشوهة إذ أن المبادئ التي تؤمن بها تبيح التحلل ولا تقيم وزناً للاخلاق القويمة فبسبب الاباحية الشيوعية في العلاقات بين النساء والرجال كان الاتحاد السوفييتي (سابقاً) السبّاق الى رفع الحظر عن الاجهاض منذ ١٩٢٠ وتليه الصين في عام ١٩٥٥(Watkins et. al. 1992) كما سيرد ذكره في الفصل الثاني.

تأتي شايدولينا بمجموعة من التناقضات الغريبة فتذكر في بداية أحد فصول كتابها "أن المرأة المطلّقة الحامل لاتترك بيت الزوج إلا بعد الوضع حيث تترك الطفل لابيه لان الطفل حسب الشريعة الاسلامية ملك للاب"!(ص ١٦) ثم تعود لتناقض هذا الادعاء في نهاية الفصل نفسه حين تذكر "ان المطلّقة -وفقاً للشريعة- يجب ان تعتني بأطفالها وتعمل على حمايتهم والاهتمام بهم، ولكن اعالتهم واجب على الأب" (ص٣٩). .وكذلك عند حديثها عن الطلاق تقول شايدولينا "لا يكلف الطلاق الرجل، طبقاً للقانون الاسلامي، شيئاً "! (ص ١٠٣). ثم تذكر في مكان آخر ان على المطلقة ارجاع المهر للزوج حسب الشريعة!(ص ١٤٠). ثم تعود لتناقض ما سبق وتذكر "يعتبر فسخ الزواج في القانون الاسلامي اجراء في غاية الصعوبة والتعقيد. والبساطة التي قد يبدو بها مخادعة. فما ان يلفظ الرجل كلمة الطلاق حتى تنبثق جملة مشاكل: مصير الاطفال، دفع النفقة للزوجة، وحتى عملية الطلاق بحد ذاتها معقدة في الشريعة بما فيه الكفاية" (ص١٦٢). من الواضح أن هذه الباحثة تثبت في كتابها آراء تتفق مع مبادئها وقبل أن تتمحص الحقيقة وتتحراها من المراجع الصحيحة، أو ربما أنها تتجنب الاقرار بالحقيقة، فكتابها يتضمن التناقضات الواضحة تاركاً القارئ الجاهل بالشريعة الاسلامية محتاراً: فهل المطلقة الحامل تترك الطفل للاب أم تعتني به؟ وهل المطلقة ترجع المهر للزوج أم هو الذي يدفع مؤخر المهر والنفقة؟ وهل الطلاق سهل على الرجل أم هو أمر معقد؟

تكرر شايدولينا المقولة المعهودة بان "الرجل المسلم يشتري المرأة بالمهر وكأنها صفقة تجارية". ولو كان كذلك فلِمَ توافق المرأة على ذلك؟ هل أن ذكاء المرأة المسلمة أقل من ذكاء الروسية أو الأمريكية بحيث تقبل لنفسها ما لا يقبله غيرها لها؟ أم أن سايكولوجية المرأة المسلمة، التي تبدي شايدولينا رغبة خاصة في دراستها، تختلف عن سايكولوجية نساء العالم

الاخريات؟ إن الذكاء والحالة السايكولوجية لاتختلفان بين نساء الغرب والشرق، ولكن الدين الحنيف وفر للمسلمة ما لم توفره لها الاديان أو المذاهب الأخرى، لذلك اختلفت المرأة المسلمة عن نساء العالم بشكل استدعى دهشتهم وحسدهم وغيرتهم. فالرجل عليه توفير المسكن وجهاز البيت وعليه كسوتها وسائر نفقتها الا أن تطيب هي نفساً بشئ من ذلك. والمهر هو حق مفروض للمرأة على الرجل وضمان لها لا يحق للرجل التصرف به الا بموافقتها وكما ورد في الآية الكريمة: **﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شئ منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾** (النساء: ٤). واذا كانت النشطات في الحركة النسوية في القرن العشرين يحتججن على عمل المرأة في البيت دون اجر فان الاسلام جعل المهر ضماناً وحقاً للمرأة عند زواجها، ومنذ أربعة عشر قرناً، وليس جزءاً من صفقة تجارية كما يصفه الحاقدون.

وكما تقدم ذكره فان خلط شايدولينا في تفاسير بعض آيات القرآن العظيم يوضح تعمداً مقصوداً للتشويه. أما حلولها المقترحة لانقاذ المرأة المسلمة وإيصالها إلى حالة مثل حالة المرأة في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية التي تبدي اعجابها بانجازات الثورة الشيوعية التي كانت مسيطرة في تلك البلاد وحتى عام ١٩٩٤، فهو "النضال المنظم في النقابات والاحزاب مثل الحزب الشيوعي" و"بلورة حركة التمرد" لـ "اعادة بناء العالم". وهاهو فشل هذه الافكار والمقترحات يبدو للعيان إذ عادت الاقطار الشيوعية سابقاً الى محاولة ترميم ماهدمته وافسدته الشيوعية ولاريب ان الداعين سابقاً إلى الشيوعية قد اصبحوا الان في مقدمة الثائرين عليها ومن دعاة التجديد. فسبحان القدير الذي يُذهب الزبد ويُبقي ما يَنفع الناس: **﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض﴾** (الرعد: ١٧).

خامسا: العدو من الداخل (الطابور الخامس).

تشير ليلى أحمد (Ahmed 1982)، وهي باحثة من أصل مصري مختصة في اللغة الانكليزية، الى ان الحركة النسوية (الفمنزم) وردت الى الشرق الأوسط من خارجه، ولا تقول من الغرب وهو الأدق. وتوضح أن الفمنزم والاسلام غير متوافقين بالطبيعة وأن أي تقدم للفمنزم ولوضع المرأة لا يمكن أن يتم باعتقادها إلا، كما فعل سيئ الصيت اتاتورك، باستئصال التقاليد الاسلامية ومنها اغلاقه لتكايا الطرق الصوفية في عام ١٩٢٥ ثم تؤكد على تفوق المرأة في الغرب على المرأة الشرقية بسبب حرية الأولى في التعبير عما تعتقده.

بينما تخشى المرأة في الشرق إن عبرت عما تعتقده من أن تُتهم بالخيانة وعدم الولاء، وخصوصاً إن كانت المتكلمة تعيش في الغرب (أي مثل حالتها)، حتى ولو كانت مطالبتها بالإصلاح لا تتضمن عدم الولاء للاسلام! وتضيف الى إن الاصلاح ينسجم مع الإسلام. فهذا القول الاخير ينطبق عليه قول الأمام علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه: (كلمة حق اريد بها باطل)، فأن حقيقة ما تطالب به ليس الإصلاح بل الخراب، فان لم يكن ما تقوله من "استئصال التقاليد الاسلامية" يصنف ضمن مصطلح الخيانة فبأي شئ يوصف اذاً انتقادها غير الحقيقي للاسلام ومدحها لإعدائه من الشيوعيين؟

وبالإضافة إلى اعجابها بـ"اصلاحات" اتاتورك، تشيد ليلى أحمد بتحسن وضعية المرأة في اليمن الجنوبية بعد استقلالها من الاستعمار البريطاني في عام ١٩٦٧، فبسبب سيطرة الافكار الماركسية اللينينية (الشيوعية) على تلك الدولة افادت المرأة في اعتقادها بالتحرر التام، وهو رأي شايدولينا نفسه. كما تتهم الإسلام بأنه آيديولوجية تطورت ونمت للسيطرة على النساء! وهي تتفق في هذا أيضاً مع رفيقتها شايدولينا، إذ أن كلتيهما تغرفان من المصدر الشيوعي نفسه. وتدعي هذه الباحثة أن العودة الحالية التي يشهدها العالم إلى مبادئ الاسلام ليست إلا تعبيراً عن رفض للأيديولوجية الغربية-الرأسمالية، لا رغبة في المبادئ الاسلامية بحد ذاتها. والملاحظ على ليلى أحمد، كما على الكثيرات غيرها ممن يدعين للمبادئ الشيوعية، هو تمسكهن بالعيش والعمل في الدول الرأسمالية لا في الدول التي تطبق الفكر الذي يدعين إليه.

لقد وردت الحركة النسوية (الفمنزم)، فعلاً الى الشرق الاوسط من الغرب، بعد أن تطور من المطالبة بالمساواة في الحقوق الى التحرر بل التحلل من كافة الروابط. ذلك أن المرأة في الشرق الاوسط، كما سنجد في الفصول القادمة، لم تواجه المشاكل التي واجهتها المرأة في الغرب من عدم المساواة في التعليم والعمل والأجور. لذلك عندما ارتفعت اصوات الفمنزم، أمثال السعراوي (أصلها من مصر) أو فاطمة ميرنيسي (أصلها من المغرب) وغيرهما في اوساط مجتمعات شرقية اسلامية، فإنها في الواقع كانت تتبنى الآراء التحللية التي يصفق لها الغرب قبل غيره، لما يشعره من حقد على الشرق، ويوفر لإصحابها الدعاية والنشر ومن ثم الدخل المادي الكبير. فالظواهر التي تنتقد في المجتمعات الإسلامية هي أما ظواهر اجتماعية لا تمت الى الاسلام بصلة لانها محدودة بمناطق معينة مثل مصر والسودان (Elsaarawi

1982)، أو ظواهر غربية تدعو الى التحلل ونكران الفضيلة والعفة للمرأة (Mernissi 1991) والتي ستتضح خلال الفصول القادمة مساوئ نتائجها على المرأة أولاً وعلى العائلة والمجتمع في الدول الغربية ثانياً. كما سنجد ان الحركات المناوئة (للفمنزم) في أمريكا وأوربا بدأت تشعر وتحذر من خطر وباء التحلل الاخلاقي الذي تدعو اليه (الفمنزم). ومن الكتب الصادرة حديثاً كتاب "أنثى ضد الانوثة" والتي يحلل فيها المؤلف، من منطلق التحليل النفسي، كتابات السعراوي. فيشير الى "ان رؤيتها للعالم هي خليط غير منطقي وغير متجانس من ايديولوجيا شعورية مناصرة للمرأة وايديولوجيا لاشعورية معادية في جوهرها لذاتية المرأة". ويثبت "ان ماتعبر عنه ليس نتاج ذاتيتها الاصلية ولا هو نتاج تمردها أو ثورتها على وضعها كمستعمَرة، بل هو على العكس تماماً نتاجِ تمويهها مع مستعمِرها واستبطانها لايديولوجيته المعادية لها" (طرابيشي ١٩٩٤).

أما عزيزة الحبري (Al-Hibri 1982) فتشير، بعد أن تكرر نظرية الماترياركي، إلى أن احد أسباب انحسارسيطرة المرأة هو إشغالها بتكرار الحمل والولادة وتربية الأطفال مما أضعفها وقلل من قدرتها على المشاركة في الحروب، رغم ان نظرية غيمبوتاس نفسها تدعي بان مرحلة الماترياركية كانت مرحلة سلم. كما تعتبر الرأسمالية مرحلة متقدمة من الباترياركية ولكن الاشتراكية، في الوقت نفسه، ليست فمنزم. وتشير الى ان الشرق العربي تلوث بالغرب البيزنطي من خلال نظرته التحتية للمرأة، فالحجاب مثلاً اصله غير اسلامي، لذلك اتجهت المرأة العربية إلى الباترياركية الاسلامية لأنها أقل اذلالاً ومهانة من الباترياركية الغربية (ولا تقول المسيحية!). أن الحبري لا تتوانى عن الاعتراف بتعجبها مما ذكرته سميث وحداد من عدم وجود مبدأ لوم حواء على خروج سيدنا آدم (عليه السلام) من الجنة في القرآن العظيم، والأعجب انها لا تتردد في التفاخر بجهلها. وتشير إلى أن التقاليد تجعل الطلاق بيد الرجل، وليس للمرأة حق طلاق زوجها مهما كانت تعاسة حالتها معه! وهي تؤكد على ضرورة التمييز بين التقاليد الاجتماعية الباترياركية والمبادئ الاسلامية التي تخفى على أمثال عالية بافون (تونسية الاصل) مثلاً اثناء ذكرها للتمييز في الدراسة (Baffoun 1982). ففي بحثها عن المرأة المسلمة في العالم العربي تشير بافون الى ان هناك تمييزا بين الجنسين في التعليم تعزوه إلى الدين الاسلامي!

تذكر معظم المراجع قضية قوامة الرجل على المرأة في الاسلام دون النظر الى سياقات التشريع ولا الى باقي مزاياه. ان الحصيلة الكاملة من التشريعات هي التي يجب أن تبحث وليس انتخاب احدى التشريعات واخراجها من مضمونها الاصلي ومن الكتلة الكاملة المتماسكة لتلك التشريعات. من الواضح ان المجتمع الإسلامي لا يخلو من الكثير من المشاكل والاخطاء الا ان هذه نابعة من اعراف اجتماعية، وليست بسبب الدين الاسلامي، خلقتها اضطرابات سياسية واقتصادية ابتليت بها الدول الاسلامية بسبب التدخل الخارجي. بالرغم من كل ذلك تبقى المجتمعات الإسلامية اكثر استقراراً بالنسبة للمرأة والأسرة من مثيلاتها في العالم الغربي الذي يزوقوه رغم قبحه كما سيتضح في الفصول القادمة.

الفصل الثاني

المرأة المعاصرة

المرأة المعاصرة

٢-١ الحركات النسوية

عانت المرأة في الغرب من أشكال غريبة من الاضطهاد ولقرون طويلة، فلا حق لها في التصويت او دخول الجامعات، اضافة الى فقدانها الحق في أملاكها بعد الزواج، حيث تصبح هي وما تملك جزءاً من ممتلكات الزوج. وقد دعا ذلك بعض النساء خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الى بدء حملة لاستحصال بعض الحقوق. تطورت الجهود الفردية الى حركات منظمة تنتمي اليها الكثيرات من النساء ويشجعها بعض الكتاب والسياسيين، فقد قدم الفيلسوف جون ستيوارت ميل عام ١٨٦٦ طلباً لتأسيس أول جمعية نسائية في بريطانيا لمنحهن حق الإنتخاب في البرلمان (Alexander 1983). إذ اعتبرت النساء ان هذا الحق هو أهم الحقوق لأن تحققه سيوفر لهن المنبر الذي من خلاله يمكن ايصال أصواتهن الى الحكومة بشأن المطالب الاخرى. وكان من ضمن من وقّع ذلك الطلب فلورنس نايتنغيل (١٨٢٠-١٩١٠). المرضة الشهيرة التي أسهمت في معالجة الجرحى في حرب القرم.

إلا أن النساء لم يحصلن على حق التصويت في بريطانيا إلا في عام ١٩١٨، ولمن تجاوزت الثلاثين من عمرها، وبعد العديد من التظاهرات النسوية التي لم تخل من المواجهات والتصادم العنيف مع السلطات. ففي عام ١٩٠٩ بدأت النشطات في الحركة النسوية بتجاوز القانون واحراق الممتلكات -أي ما يسمى في العصر الحالي بالإرهاب- وألقت احدى النساء

بنفسها أمام حصان الملك في سباق الدربي الشهير وقُتلت في عام ١٩١٢، وحُطم زجاج مباني الوزارات مثل الداخلية والحربية والخارجية أثناء التظاهرات، فتم إعتقال مئات من النساء وحكم عليهن بالسجن فأضربن عن الطعام. فكان طبيب السجن يُدخل الطعام إلى معدة المضربة عن الطعام بواسطة انبوب وبصورة مهينة بالرغم عنها. وعندما ضج الرأي العام على هذه الإجراءات بدأت السلطات باللجوء الى اسلوب أطلاق سراح المُضربة عن الطعام عندما تسوء صحتها ثم أعادتها الى السجن عندما تتحسن حالتها الصحية (Watkins et. al. 1992). توقفت المصادمات مع السلطة عند بداية الحرب العالمية الأولى حين توجه اهتمام الحركة النسوية إلى النشاط الحربي ثم تلا الحرب كما تقدم منح النساء حق التصويت.

ولاتزال نسبة النساء في البرلمان البريطاني حالياً أقل من ٤٪، فيما تتنافس الأحزاب في ترشيح النساء للمقاعد الانتخابية دون نجاح ملموس في استنفار المزيد من النساء بسبب مشقة العمل اولاً، ومخاطره مع الصحافة التي تتقصى ماضي الشخصيات السياسية وحياتها بصورة تفصيلية (Alexander 1983).

كانت فنلندا أول دولة اوربية تمنح النساء حق التصويت في عام ,١٩٠٦ أما فرنسا فلم تمنح النساء حق التصويت الا بعد الحرب العالمية الثانية. ومن الطريف ان آيرين جوليو-كوري (ابنة مدام كوري) العالمة والحاصلة على جائزة نوبل في الكيمياء، عُينت وزيرة للشؤون العلمية في فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية ولم يكن لها حق التصويت! (McGrayne 1993).

أما في أمريكا فلكل ولاية حق تشريع القانون الخاص بها. كانت ولاية وايومنغ أول ولاية تمنح حق التصويت للنساء عام ١٨٦٩، وتلتها الولايات الاخرى على فترات زمنية مختلفة (Alexander 1983). إلا أن النساء لم يسرعن لأستغلال ذلك الحق إلا بعد مدة طويلة. ففي احصاء لعام ١٩٢٠ وجد ان ٤٣٪ من النساء الامريكيات اللاتي يحق لهن التصويت أسهمن في التصويت، وارتفعت هذه النسبة الى ٥٦٪ عام ١٩٤٨ مقارنة مع نسبة ٦٩٪ للرجال، ولم تتجاوز نسبة النساء نسبة الرجال الا في عام ,١٩٦٤ ويعزى السبب في زيادة نسبة المشتركات بالتصويت الى إسهام الجمعيات النسوية في زيادة وعي النساء وثقافتهن (Hartmann 1989). وفيما يلي الجدول (٢-١) والذي يبين تاريخ منح حق التصويت والمساواة والسماح بالاجهاض قانوناً في بعض دول العالم (Watkins et. al. 1992).

الدولة	حق التصويت	المساواة في الحقوق	السماح بالاجهاض
روسيا	١٩١٧	١٩١٧	١٩٢٠
بريطانيا	١٩١٨	١٩٥٧	١٩٦٧
كندا	١٩١٨و١٩٦٠ (للسكان الاصليين)	١٩٧٧	١٩٦٩
المانيا الغربية	١٩١٩	١٩٤٩	١٩٧٦
أمريكا	١٩١٩	-	١٩٧٣
أيرلندة	١٩٢٢	-	-
ايطاليا	١٩٤٥	١٩٤٧	١٩٧٨
اليابان	١٩٤٥	١٩٤٧	١٩٤٨
فرنسا	١٩٤٦	١٩٨٣	١٩٧٩
الصين	١٩٤٩	١٩٥٢	١٩٥٥
الهند	١٩٥٠	١٩٥٠	١٩٧٥

لقد اصبح معدل تمثيل المرأة في البرلمانات في العالم حسب احصاء عام ١٩٩٤ هو ١٠,٥١٪ .وتمثل النرويج اعلى نسبة في العالم حيث تصل نسبة عضوات البرلمان فيها إلى ٣٩,٤٪ .ولا تزال ثماني دول في العالم لا تمثل فيها المرأة ومن بينها الكويت ودولة الامارات العربية وموريتانيا وجيبوتي من الدول الاسلامية التي فيها برلمان (مجلة العربي، يناير ١٩٩٥ ص ٢٩ العدد ٤٣٤).

ومرت الحركة النسوية بعدة مراحل من التغير ووصلت خلال أوائل الستينات إلى مفترق طرق حين حصلت المرأة على معظم الحقوق التي حُرمت منها في السابق. وبعد أن كان مصطلح Feminism (الفمنزم) يُعرَّف بأنه معتقدٌ للنساء والرجال يدعو لضرورة تغيير دور المرأة في المجتمع بحيث يصبح للرجال والنساء حقوقٌ وفرص متساوية، ظهر مصطلح تحرير المرأة. فقد شهد عام ١٩٦٨ في أمريكا ظهور فرع نسائي جديد اكثر تطرفاً وراديكالية من رائدات الحركة الاوائل للحركة النسوية حيث استخدمت عضواته وسائل عنيفة لابراز القضية،

فهاجمن احتفال مسابقة اختيار ملكة جمال أمريكا لعام ١٩٦٨ اعتراضاً على استغلال جسم المرأة كرمز، كما بُدئ باستخدام لغة مبتذلة غير معتادة من الجماعة التقليدية المعتدلة (Hartmann 1989). وقد أضافت هذه المجموعة الكثير من المطاليب الاباحية التي أسهمت في معاداة الحركة النسوية وتهديم الاسرة اكثر من مساعدتها للمرأة في الحصول على حقوقها وتحسين مكانتها في المجتمع.

لقد شاع خلال الستينات مصطلح Liberation الذي يعني التحرر من سيطرة الرجل، فيما انتشر في الثمانينات مصطلح Emancipation ويعني التحرر من الاضطهاد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والقانوني، فأسهمت حركة المرأة بذلك في زيادة وعي النساء بموقعهن في المجتمع (Alexander 1983). ومن الغريب ان جمعيات نسائية معاكسة (يطلق عليها اسم Antifeminism) ظهرت في أمريكا منذ الخمسينات ولم تأخذ الشكل النظامي أو المؤسسي الا في عام ١٩٨٠، هدفها المحافظة على ارتباط الاسرة، ومعاداة الاجهاض والشذوذ بأنواعه (او ما يسمى الان بـ "معاشري المثل")، عندما شعرن بتهديد المطالب الاباحية الجديدة على مستقبل الاسرة (Hartmann 1989).

إن أهم مطالب الجمعيات النسوية التقليدية تتمحور حول طلب المساواة في الثقافة والتعليم وفرص العمل والاجور، أضافة الى حقوق المرأة في الاسرة بعد الزواج مثل التملك والطلاق وحضانة الاطفال. كما تسعى هذه الجمعيات الى تغيير الصورة المبتذلة التي تفشت خلال القرن العشرين نتيجة الاستغلال المهين لجسم المرأة في الاعلانات التجارية لكافة انواع البضائع من مواد التنظيف والغسيل والادوية والسجائر والمشروبات وحتى الاحذية (Alexander 1983)، وهي ظاهرة لا تقل في حطها من قدر المرأة عن وأد البنات في الجاهلية وظاهرة السوتي (أو حرق الارملة الهندوسية مع زوجها المتوفي)، لأن الاعلانات المهينة ليست الا قتلاً أو دفناً لكرامة المرأة وهي حية كما كانت تدفن في التراب وهي حية. وتعتقد موراغ الكساندر ان قضية المساواة لا تعني تغيير رأي المرأة لوحدها وانما تغيير أسلوب تفكير الرجل ايضاً.

٢-٢ الثقافة والتعليم

اولا: أول الطريق في الغرب

عانت المرأة الغربية لقرون عديدة من اضطهاد منظم ومستمر فيما يخص فرصها في التعلم بصورة عامة ودخولها الجامعات بصورة خاصة. ويبين الجدول (٢-٢) اسماء اشهر الجامعات العالمية وسنة افتتاح كل منها وسنة قبول النساء للالتحاق بها (Seager & Olson 1986)، فيما يبين العمود الاخير من الجدول الفرق بالسنوات بين الافتتاح والسماح للنساء بالدراسة. حيث يتضح ان المرأة مُنعت ولمدة تجاوزت سبعة قرون من الدراسة في جامعة اوكسفورد، اعرق جامعة في العالم في العصر الحديث. كان قبول النساء فيها في البدء محدوداً ولم تتم المساواة التامة بين الرجال والنساء في القبول الا في سبعينيات هذا القرن (McGrayne 1993). كما انه ولغاية عشرينيات هذا القرن لم تكن في أوروبا مدارس للبنات لاكمال دراستهن للتأهل للجامعة وكان على من ترغب بدخول الجامعة أن تأخذ دروساً خاصة في الرياضيات او الفيزياء. ولما كانت جامعة باريس هي الجامعة الوحيدة في اوربا التي تسمح بقبول النساء فقد سافرت اليها ماري سكلدوفسكا (مدام كوري) من بولندا لاكمال دراستها (McGrayne 1993). أما في أمريكا فبالرغم من ان الفتيات كن يُقبلن في الجامعة في تلك الحقبة الا انه لم يكن يسمح لهن بالاسهام والعمل في مختبرات البحوث.

وفيما يلي الجدول (٢-٢): الذي يبين سنوات افتتاح اشهر الجامعات العالمية وسنوات السماح للنساء بالالتحاق بها (Seager & Olson 1986).

اسم الجامعة	سنة الافتتاح	سنة قبول النساء فيها	الفرق بالسنين
اوكسفورد	١١٦٧	١٨٧٨	٧١١
كيمبردج	١٢٨٤	١٨٧٣	٥٨٩
دبلن	١٥٩٢	١٩٠٤	٣١٢
هارفارد	١٦٣٦	١٨٩٤	٢٥٨
يـيـل	١٧٠١	١٩٦٩	٢٦٨
كولومبيا	١٧٥٤	١٨٨٩	١٣٥
اوسلو	١٨١١	١٨٨٢	٧١
مكجيل	١٨٢١	١٨٨٤	٦٣
تورنتو	١٨٢٧	١٨٨٤	٥٧
لندن	١٨٣٦	١٨٧٨	٤٢

يعزو المؤرخ ديفيد نوبل، مؤلف كتاب "عالم بلا نساء: حضارة الكنيسة في العلم في الغرب"، من جامعة يورك في تورنتو، ابتعاد النساء عن المجتمع الاكاديمي الى ان اوائل الجامعات نُظمت من قبل الكنيسة المسيحية، حيث أسهمت الحضارة الكنسية في الغرب في فصل النساء وابعادهن عن الجامعات والمؤسسات العلمية (Holloway 1993). فقد امتنعت المؤسسات والجمعيات العلمية عن قبول النساء حتى وقت متأخر. فأقدم جمعية علمية في العالم وهي الجمعية الملكية في لندن التي تأسست عام ١٦٦٢، لم تقبل عضوية النساء فيها الا عام ١٩٤٥، حيث لم تُمثّل المرأة فيها الا من خلال هيكل عظمي لإمرأة في احدى خزانات الجمعية، ولاتزال نسبة النساء فيها جد منخفضة حيث تبلغ حالياً ٢,٩٪ (Holloway 1993). اما الاكاديمية الفرنسية للعلوم فقد رفضت عضوية النساء فيها حتى عام ١٩٧٩, ورُفض طلب العالمة آيرين جوليو-كوري، للانتماء الى اكاديمية العلوم الفرنسية في سنوات متتالية، بالرغم

من حصولها على جائزة نوبل وبالرغم من قبول عضوية زوجها وشريكها في البحوث في الاكاديمية عندما قدم ولاول مرة عام ١٩٤٣ , واستمرت جوليو-كوري تقدم طلباً للعضوية كل عام وتشهر بالاكاديمية بعد ان يُرفض طلبها. ولا عجب في هذا فقد رفض طلب والدتها أيضاً، العالمة المشهورة مدام كوري عندما قدمت طلب العضوية عام ١٩١١، مع انها كانت أول أستاذة في جامعة السوربون التي عمرها ٦٥٠ عاماً، حين حلت محل زوجها المتوفي بيير كوري، وكانت أيضاً قد حازت على جائزة نوبل عام ١٩٠٣ مشاركة مع زوجها وهنري بيكريل . ومما يثير السخرية أن الاكاديمية رشحت زوجها وهنري بيكرل فقط، ولم ترشحها لجائزة نوبل لذلك العام، ألا ان اللجنة الخاصة بالجائزة اضافت اسمها لانها كانت قد رُشحت من قبل هيئات اخرى في العام السابق (McGrayne 1993). أما أكاديمية العلوم القومية في أمريكا فتضم حالياً ٧٠ عضواً من الإناث من مجموع ١٧٥٠ عضواً، أي ٤٪ من المجموع الكلي، ويُعزى سبب هذه النسبة المتدنية الى تشدد الاعضاء وخصوصاً كبار العمر منهم في قبول النساء (Holloway 1993).إن الاعتقاد العام حول هذه المسألة هو وجود معيار مزدوج في المؤسسات العلمية حيث تطالَب المرأة باكثر مما يُطالب به الرجل لكي تقبل في جمعيات علمية غالبيتها من الرجال، في حين يقبل رجال يقلون عنها في المستوى والمقدرة.

ثانيا: أول الطريق للمرأة المسلمة

عند موازنة ماذُكر سابقاً مع الجامعات في العالم العربي والإسلامي المعاصر، بعد الاستقلال، نجد أن الفرق الزمني بين افتتاح الجامعة المعنية وقبول الطالبات فيها لا يتجاوز بضع سنين في معظم الجامعات، ان لم يكن القبول قد سُمح به منذ البدء. لم يكن الفرق الزمني هذا الا بسبب عدم وجود فتيات مؤهلات لدخول الجامعة بسبب تأخر افتتاح المدارس الثانوية الخاصة بالبنات لقلة عدد المدرسات. ففي مصر افتُتحت أول مدرسة حكومية للبنات عام ١٨٧٣، وأول مدرسة ثانوية للبنات عام ١٩٢٥، كما كانت هنالك بعض المدارس الاهلية.

أما أول قبول للفتيات في الجامعة المصرية فقد كان عام ١٩٢٨، أي بعد حوالي عشرين عاماً من افتتاح الجامعة؛ وأُرسلَت درية فهمي في بعثة حكومية الى فرنسا عام ١٩٢٥، ودون ان تدرس في مدارس رسمية إذ كانت دراستها في بيتها على يد مربية خاصة، لتصبح أول أمرأة في فرنسا تحصل على درجة دكتوراه دولة في اللغة الفرنسية وآدابها عام ١٩٣٥ , وعند عودتها من فرنسا عُينت درية فهمي في قسم اللغة الفرنسية في جامعة القاهرة حيث واجهت

معارضة من قبل أعضاء قسمها، وكانوا كلهم من المدرسين الفرنسيين الذين رفعتهم الجامعة من المستوى الثانوي الى المستوى الجامعي بسبب شحة المدرسين، وكانت بذلك شهاداتهم اقل مستوى من شهادة الدكتورة درية فهمي (Russell 1992). كما أُنْشِئَ معهد التربية للبنات عام ١٩٣٣ الخاص بتخريج مدرسات الثانوية. ويبين الجدول (٢-٣) عدد الطالبات ونسبهن المئوية في جامعة فؤاد في القاهرة وجامعة فاروق في الاسكندرية للعام الدراسي ١٩٤٧-١٩٤٨, حيث يلاحظ ان معدل النسبة المئوية للبنات في القاهرة كانت ٦,٧٪ وفي الاسكندرية ٤,٨٪)الحصري ١٩٤٩). ويتضح ميل الفتيات الى الدراسة في الفروع الانسانية حيث التحقت ٦٣٪ منهن بكليات الآداب والحقوق والتجارة في جامعة القاهرة و ٦٢٪ منهن في جامعة الاسكندرية. وشهدت نسبة الفتيات في الجامعات المصرية زيادة مستمرة من ٨٪ عام ١٩٥٢ لترتفع الى ٣٠٪ عام ١٩٧٦)فريد ١٩٨٠).

وفيما يلي جدول (٢-٣) الذي يبين: النسبة المئوية لعدد الطالبات من العدد الكلي للطلبة في جامعتي مصر: فؤاد الاول في القاهرة وفاروق الأول في الاسكندرية للعام الدراسي ١٩٤٧-١٩٤٨ (الحصري ١٩٤٩).

إسم الكلية	عدد الطالبات بجامعة القاهرة	النسبة المئوية في العدد الكلي للطلبة	عددالطالبات بجامعة الاسكدرية	النسبة المئوية من العدد الكلي للطلبة
الآداب	٤٣٢	٣١,٣	٩١	١٩,٤
التجارة	٨١	٢,٨	٢	٠,٤٥
الحقوق	٥٧	٢,٨	١٣	١,٥
دار العلوم	-	-	-	-
الزراعة	٤٤	٣,٧	٥	٣,٢
الطب	٢١١	٨,٢	٢٧	٥,٥
الطب البيطري	٢	٠,٨	-	-
طب العباسيه	١٧	٧,٦	-	-
العلوم	٥٦	٧,٦	٣٤	٥,٣
الهندسة	٤	٠,٣	-	-
المجموع	٩٠٤	-	١٧٢	-
المعدل	-	٦,٧	-	٤,٨

أما في العراق فقد كان تعليم الفتيات القراءة والكتابة يتم من خلال تعلم القرآن العظيم، كما هو الحال في معظم الدول الاسلامية. وبعد تأسيس الدولة العراقية في اواخر عام ١٩٢١، بوشر بفتح المدارس الابتدائية للبنات. وارتفع عدد هذه المدارس من ٣١ مدرسة في عام ١٩٢١ الى ٦٧ في عام ,١٩٣٣ كما فُتحت ثلاث مدارس متوسطة للبنات عام ١٩٣١ وارتفع عددها الى ثماني مدارس متوسطة في عام ١٩٣٣، في حين فُتحت مدرستان ثانويتان للبنات في العام نفسه (Woodsmoll 1936). وأفتتحت دار للمعلمين عام ١٩٢٠ / ١٩٢١ ودار للمعلمات عام ١٩٢٣/١٩٢٤. وكانت النسبة المئوية للبنات في كافة المدارس العراقية في العام الدراسي ١٩٤٨-١٩٤٩)التي كان قد ارتفع عددها الى ١٣١٠ مدرسة) ٢٣,٨٪ (الحصري ١٩٤٩).

قُبلت أول طالبة في كلية الحقوق (التي تأسست عام ١٩١٩) في عام ١٩٣٦ وهي صبيحة الشيخ داود التي تبوأت مركز حاكمة لمحكمة الاحداث في بغداد خلال الخمسينيات وألفت عام ١٩٥٨ كتاباً عن تاريخ تعليم المرأة في العراق اسمته "أول الطريق" (Rassam 1992). كما أُرسلت أول مجموعة فتيات في بعثة لاكمال الدراسة في بيروت في اوائل الاربعينيات. في سنة ١٩٤٧ وكان عدد طلبة البعثات في الخارج ١١٤ بينهم خمس فتيات (الحصري ١٩٤٩). وافتتحت دار المعلمين العالية لتخريج مدرسي الثانوية عام ١٩٢٣، وقبلت الفتيات فيها عام ,١٩٣٧ كما افتتحت كلية خاصة للبنات عام ١٩٤٥ سُميت كلية الملكة عالية، التي اصبحت عام ١٩٦٣ كلية البنات في جامعة بغداد، حيث كانت تُدرّس فيها كافة المواضيع العلمية والانسانية، لفسح مجال الدراسة أمام الفتيات اللاتي تمنعهن ظروفهن الاجتماعية من الالتحاق بالكليات المختلطة في الجامعات (العمر ١٩٧٧).

يشير ساطع الحصري إلى أن التعليم المختلط كان هو الغالب في المدارس العالية (أي ذات المستوى الجامعي) في جميع الدول العربية، كما يورد الجداول الاحصائية لعدد الطلبة من البنين والبنات في الكليات العراقية (قبل ان توحد ضمن جامعة بغداد) للعام الدراسي ١٩٤٧-١٩٤٨ كما في الجدول (٢-٤)، حيث يلاحظ بان معدل النسبة المئوية للبنات هو ١٤,٢٪.

وفيما يلي **الجدول** (٢-٤): الذي يبين النسبة المئوية لعدد الطالبات في الكليات العراقية في بغداد للعام الدراسي ١٩٤٧-١٩٤٨)الحصري ١٩٤٩).

اسم الكلية	سنة الانشاء	عدد الفتيات	النسبة المئوية للفتيات من المجموع الكلي للطلبة
الحقوق	١٩١٩	١٠٧	٤,٧
دار المعلمين العالية	١٩٢٣	١٧٨	٣٣,٥
الطب	١٩٢٧	٣٦	١٠,٥
الصيدلة	١٩٢٧	١٦	١٥,٤
الهندسة	١٩٤٢	٢	٠,٨
معهد الملكة عالية	١٩٤٥	٢٣٢	١٠٠
التجارة والاقتصاد	١٩٤٧	١٢	٣,٣
المجموع	-	٥٨٣	١٤,٢

أما الجدول(٢-٥) فيبين عدد الطالبات والنسبة المئوية في فروع دار المعلمين العالية ومعهد الملكة عالية الخاص بالبنات في بغداد. حيث اتجهت ٦٤٪ من الفتيات لدراسة الفروع الانسانية في دار المعلمين العالية و٥٨٪ في معهد الملكة عالية.

وفيما يلي الجدول(٢-٥): والذي بين النسبة المئوية لعدد الطالبات في فروع دار المعلمين العالية ومعهد الملكة عالية في بغداد للعام الدراسي ١٩٤٦-١٩٤٧)الحصري ١٩٤٩).

الفرع	عدد الطالبات في دار المعلمين العالية	النسبة المئوية للطالبات في الفرع	عدد الطالبات في معهد الملكة عالية	النسبة المئوية من المجموع في معهد الملكة عالية
الآداب	٢١	٣٠,٩	٤٣	٢٦,٤
اجتماعيات	٣١	٤٠,٣	٣٦	٢٢,١
اللغة الانكليزية	٣٢	٤٦,٤	١٦	٩,٨
الطبيعيات	٢٨	٢٥,٥	٤٢	٢٥,٨
الرياضيات	١٩	٢٥	٢٦	١٦
المجموع	١٣١	٣٢,٨	١٦٣	١٠٠

ويوضح الجدول (٢-٦) نسبة الفتيات في الجامعات والكليات في سوريا والعراق ومصر مع عدد السكان والنسبة المئوية للطلبة في كافة المراحل الدراسية للعام الدراسي ١٩٤٨/١٩٤٩) الحصري ١٩٤٩)، حيث تبدو النسبة العالية للفتيات واضحة في ذلك التاريخ الحديث من إنشاء تلك الجامعات. ووصلت نسبة الفتيات في الجامعات العراقية الى ٢٤٪ عام ١٩٧٥ (Dearden 1983)، أي انها تضاعفت تقريباً خلال ٢٧ سنة.

وفيما يلي **الجدول (٢-٦)**: والذي يبين النسبة المئوية للفتيات في الجامعات والكليات في ثلاث من الدول العربية للعام الدراسي ١٩٤٨/١٩٤٩، مع عدد السكان والنسبة المئوية لكافة الطلبة في كافة المراحل (الحصري ١٩٤٩).

الدولة	النسبة المئوية للفتيات	عدد السكان بالملايين	النسبة المئوية للطلبة لكافة المراحل
سوريا	١٧,١	٣	٧
العراق	١٦,٤	٥	٣,٨
مصر	٨,٥	١٩	٦,٧

أما في المغرب فبعد الاستقلال عام ١٩٥٦ ارتفعت نسبة التحاق الفتيات بالمدارس الابتدائية من ٢٧٪ من مجموع الفتيات اللاتي بعمر تلك الدراسة في عام ١٩٦٠ الى ٦١٪ عام ١٩٨٢, ويوجد فرق كبير بين نسبة فتيات المدن وبين نسبة فتيات الريف حيث وجد أحصاء عام ١٩٨٢ ان ٧٨,٦٪ من فتيات المدن بين عمر ١٠-١٤ قد انخرطن في المدارس، مقارنة مع ١٧,٢٪ من فتيات الريف (Davis 1992). وهكذا نجد أن الظروف السياسية والاقتصادية كانت المانع الاساسي في ذلك فما أن توفرت الظروف الملائمة حتى التحقت الفتيات في حقل التعلم وبكل يسر.

قد يعزو البعض الفضل في افتتاح المدارس في الدول الاسلامية الى الاستعمار البريطاني أو الفرنسي وتشجيعه التحاق الفتيات بالمدارس، الا ان خطأ هذا الرأي يصبح واضحاً عندما ندرس حالة تعليم المرأة في دول غير اسلامية كالهند مثلاً حيث نجد الفرق شاسعاً بين الحالتين. فنسبة الامية بين النساء في الهند تزيد ٢٠٪ على نسبتها عند الرجال

(أي ٧٣ مليون امرأة امية مقابل ٢٩ مليون رجل امي). بالرغم من زيادة نسب البنات في المدارس الابتدائية للفئة العمرية بين ٥-١٠ سنوات من ٢٧٪ عام ١٩٦٠ الى ٥٢٪ عام ١٩٧٥، وهي أعلى النسب لصغيرات العمر، حيث تهبط هذه النسبة بشكل ملحوظ مع تقدم العمر فتصبح ١٦٪ للفئة العمرية ١٠-١٥ سنة، وتنخفض الى ٣١٪ للمرحلة المتوسطة والى ٢٥٪ في المرحلة الثانوية، أي الاعدادية للجامعة (Carroll 1983).

٢-٣ دراسة العلوم

بعد فسح المجال امام النساء في الغرب لدخول الجامعات لاكمال تعليمهن في المواضيع التي يرغبن بها دون تمييز، واعتماد المستوى الدراسي للمنافسة مع الرجال، نجد ان اختيار النساء للمواضيع التي يفضلن دراستها يختلف كثيراً عن اختيار الرجال لهذه المواضيع. ويوضح الجدول (٢-٧) انواع المواضيع المختارة من قبل النساء (Seager & Olson 1986) وبالتسلسل كذلك النسبة المئوية للنساء الحاصلات على الشهادة الجامعية الاولى (البكالوريوس) والدكتوراه في الجامعات الامريكية لعام ١٩٨٠. يتضح من الجدول ان بعض المواضيع، مثل الهندسة والفيزياء، تقل رغبة النساء في دراستها بصورة ملحوظة في حين ترتفع النسبة الى ٩٥٪ في مواضيع الخدمات الاجتماعية والعلوم المكتبية. كما تهبط نسب الحاصلات على شهادة الدكتوراه في كافة المواضيع، بما فيها موضوع العلوم المكتبية الذي وان كانت نسبة اختياره من قبل النساء للشهادة الاولية ٩٥٪ فان النسبة تصبح ٥٦٪ لشهادة الدكتوراة!

وفيما يلي الجدول (٢-٧): والذي يبين النسبة المئوية للنساء الحاصلات على الشهادة الجامعية الاولى (البكلوريوس) والدكتوراه والشهادة المهنية في الجامعات الامريكية لعام ١٩٨٠ للمواضيع المختلفة (Holloway 1993).

الموضوع	الشهادة الاولية (بكالوريوس)	شهادة الدكتوراة
علوم مكتبية	٩٥	٥٦
خدمات اجتماعية	٨١	٥٠
تربية	٧٤	٤٤
فنون جميلة	٦٣	٣٧
علوم اجتماعية	٤٤	٢٧
رياضيات	٤٢	١٤
ادارة اعمال	٣٧	١٥
جغرافية	٣٢	١٤
كومبيوتر (علم الحاسوب)	٣٠	١١
فلسفة	٢٧	٢٤
فيزياء	٢٤	١٣
هندسة	٩	٤
شهادات مهنية		
قانون	٣٠	
طب	٢٣	
لاهوت (علوم دينية)	١٧	
طب اسنان	١٣	

يتشابه توزع الفتيات على الكليات في امريكا مع ما ورد من احصائيات عن خريجات الجامعات السورية لعام ١٩٧٣، حيث ان ٥٠٪ منهن تخصصن في الاداب و١٠٪ في العلوم الاجتماعية و٨٪ في العلوم الصرفة فيما توزعت البقية على فروع الصيدلة والطب والتجارة والقانون والاقتصاد (Dearden 1983). ويشابه هذا ايضاً اختيار انواع الكليات من قبل الفتيات في مصر، فمن الجداول التفصيلية لعدد البنين والبنات المقبولين في الكليات المختلفة في الجامعات المصرية للعام الدراسي ١٩٧٥/١٩٧٦ التي اوردتها زينب فريد (فريد ١٩٨٠)، يمكن ان نستنتج أن ٣٥٪ من الفتيات تتوجه الى ما يسمى بالكليات العملية (أو العلمية) و٦٥٪ الى الكليات النظرية (أو العلوم الانسانية) وهذا لايختلف كثيراً عن أرقام عام ١٩٤٧ التي وردت سابقاً. وتحتل الكليات العلمية أدنى النسب في اقبال الفتيات، ففي حين تنتمي ٢٤٪ من الفتيات المقبولات في الكليات المختلطة في الجامعات الى كلية التجارة، وهي اعلى نسبة انتماء، وتليها ١٨,١٪ الى كلية الاداب و١١,٢٪ الى الطب والصيدلة وطب الاسنان، وتحصل الهندسة على ٥,١٪ والعلوم على ٣,٩٪، كما هو موضح في الجدول (٢-٨). ويتجاوز عدد البنات عدد البنين في خمس كليات، من الكليات الخمس والعشرين، وهي: الإعلام والاداب والتربية الفنية والاقتصاد والعلوم السياسية وكلية الالسن، وكلها ترجع لكليات دراسة نظرية. أما نسبة البنات الى البنين في الهندسة فهي ١٥,٦٪ وهي أعلى من نسبة طالبات الهندسة في الجامعات الامريكية ٩٪، فيما تتقارب النسب في الكليات الطبية. أما الفيزياء فيصعب إجراء المقارنة معها لان الارقام الواردة في الجدول تشير الى كلية العلوم التي تتضمن عدداً من الاقسام العلمية إضافة الى الفيزياء. أما الكليات الخاصة بالبنات، أي غير المختلطة، فقد استوعبت ١٢,٨٪ من المجموع الكلي للبنات المقبولات في الجامعات المصرية.

وفيما يلي الجدول (٢–٨): والذي يبين النسبة المئوية للفتيات في الكليات المختلطة في الجامعات المصرية للعام الدراسي ١٩٧٥/١٩٧٦ بترتيب تنازلي للنسبة المئوية من مجموع الفتيات الكلي، حسبت النسب من جداول (فريد ١٩٨٠).

الكلية	النسبة المئوية من مجموع الفتيات الكلي	النسبة المئوية من مجموع الطلبة في الكلية
التجارة	٢٤	٢٨,٧
الاداب	١٨,١	٥١,٦
طب وصيدلة وطب اسنان	١١,٢	٢٤,٩
التربية	٨,٦	٢٨,٥
الزراعة	٧,٥	٢١,٥
الحقوق	٧,٥	٢١,٨
الهندسة	٥,١	١٥,٦
العلوم	٣,٩	٣١,٢
تربية رياضية	٢,٦	٤١
فنون جميلة	١,٧	٣٦,٤
خدمة اجتماعية	١,٥	٣٩,٦
تكنولوجيا	١,٥	١٠,٤
دار العلوم	١,٣	٣٤
اقتصاد وعلوم سياسية	١,٢	٥٥,٤
طب بيطري	٠,٩	٢٠
تربية فنية	٠,٨	٥٥
اعلام	٠,٨	٥٠,٥
الالسن	٠,٧	٥٨,٧
الاثار	٠,٥	٣٠,٨
علوم القطن	٠,٣	٢٧,٦
الكترونيات	٠,٢	٨,٩
سياحة وفنادق	٠,١٤	٤٤,٣
تربية موسيقية	٠,١١	٣٦
بترول وتعدين	٠,١	٧,٤
البريد	٠,٠٤	٣,٧

من النسبة المئوية لحملة الشهادات المختلفة للذكور والاناث في بريطانيا لعام ١٩٨١ الموضحة في الجدول(٢-٩)، نجد أن عدد الحاصلات على الشهادة الجامعية الاولى هو حوالي ثلث عدد الذكور، وكذلك الامر مع الحاصلات على شهادة الثانوية المتقدمة (A) التي تتيح الدخول للجامعة، في حين تتقارب باقي النسب الاخرى. ومن الطبيعي أن يسهم تدني عدد النساء اللاتي يخترن دراسة الهندسة والعلوم بصورة عامة في قلة نسبة النساء في المجال العلمي، فهي في امريكا ١٦٪ من المجموع الكلي، بينما نسبتهن بين أعضاء الهيئة التدريسية العلمية هي ٧٪ من المجموع الكلي (Holloway 1993). الا ان نسبة حملة الدكتوراه في العلوم والهندسة في امريكا ارتفعت من ٨٪ عام ١٩٦٦ الى ٢٧,٨٪ عام ١٩٨٩ بسبب حملات التشجيع التي تقوم بها الجمعيات والمؤسسات النسوية الامريكية (Aburdene & Naisbitt 1993). ومن الغريب ان نسبة الحائزات على درجة الدكتوراة في الفيزياء في فرنسا هي ٣٥٪ من المجموع الكلي للحاصلين عليها في الفيزياء. وقد يعود ارتفاع النسبة في فرنسا الى ان شهادة الدكتوراة فيها، والتي تسمى بالحلقة الثالثة، هي أقل من مستوى شهادة الدكتوراة في انكلترا وامريكا، حيث تعادل في بعض الدول كالعراق بشهادة الماجستير وليس الدكتوراة.

وفيما يلي الجدول (٢-٩): والذي يبين النسبة المئوية لحملة الشهادات في بريطانيا للذكور والاناث في عام ١٩٨١ (Lewis ١٩٩٢).

نوع الشهادة	النسبة المئوية للذكور	النسبة المئوية للاناث
جامعية (بكالوريوس)	٨	٣
دبلوم	٨	٨
ثانوية متقدم (A-Level)	٨	٣
ثانوية اعتيادي(O-Level)	١٣	١٣
ثانوية تجاري	١٣	١٢
شهادة اجنبية	٤	٣
بدون أي شهادة	٤٧	٥٨
المجموع	١٠٠	١٠٠

أما التوزع النسبي لعدد الطلبة والطالبات في مراحل التعليم المختلفة في مصر للعام ١٩٧٥/١٩٧٦فهي كما في الجدول (٢-١٠) (فريد ١٩٨٠) حيث لا تتقارب النسب الا في مراحل الدراسة الخاصة لتخريج المعلمين والمعلمات. حيث نجد أن نسبة البنين فيها تساوي حوالي ضعف نسبة البنات في المراحل الاخرى. أما النسب في بريطانيا للمرحلة الثانوية المتقدمة فتقارب ثلاثة اضعاف ما ورد في الجدول (٢-٩)

وفيا يلي **الجدول (٢-١٠)**: والذي يبين التوزيع النسبي لعدد الطلبة والطالبات في مراحل التعليم المختلفة في مصر للعام ١٩٧٥/١٩٧٦) فريد ١٩٨٠).

المرحلة التعليمية	النسبة المئوية للبنات	النسبة المئوية للبنين
الابتدائية	٣٨	٦٢
الاعدادية	٣٥	٦٥
الثانوية	٣٤	٦٦
المعلمات والمعلمين	٤٤	٥٦
الجامعية	٣٠	٧٠

٢-٤ ما سبب ابتعاد المرأة عن دراسة العلوم؟

يتضح من الجداول أعلاه لدول من الغرب والشرق قلة نسبة الفتيات اللاتي يخترن دراسة العلوم والهندسة. لقد تصدت لظاهرة إعراض النساء عن دراسة الهندسة والعلوم الكثير من الباحثات في الحركة النسوية، حيث لوحظ مثلاً ان من بين ٣٠٠ عالم حائز على احدى جوائز نوبل الثلاث المخصصة لعلوم الفيزياء والكيمياء والفسلجة أو الطب، وخلال ما يقارب القرن ليس هناك سوى تسع نساء فقط! أي أن نسبتهن٣٪ (McGrayne 1993). واعتبرت بعض الباحثات هذا الرقم المتدني مؤشراً على المنع غير المباشر للنساء من الاسهام في البحوث. حيث سردت شارون بيرتش مكغرايان في كتابها عن النساء الحائزات على جائزة نوبل معاناة كل واحدة منهن، لأسباب اجتماعية او سياسية مختلفة، مثل اعتراض الأب أو الام على اهتمام

ابنتهم بالعلوم أو الحالة المادية أو العائلية أو الصحية، وتستنتج ان السؤال يجب ان لا يطرح بصيغة "لماذا هذا العدد القليل من النساء؟" ولكن "كيف تمكن هذا العدد من تجاوز العقبات؟".
تجد مكغرايان أن من أهم أسباب نجاح هذه النخبة في الوصول الى هذا المستوى هو أولاً حبهن للعلم وتولعهن فيه. أضافة الى الظروف الاجتماعية الخاصة بهن، إذ ينحدرن من عائلات ذات مستوى ثقافي عال اضافة الى ان معظمهن متمكنات مادياً. كما اسهم الزواج في استمرارهن وتقدمهن بسبب مساعدة الزوج غير المحدودة للزوجة العالمة. بل ان بعضهم غيّر موضوع تخصصه ليسهم مع زوجته في مجالها، كما حصل مع بيير كوري الذي توقف عن استمراره في بحثه عن تأثير الحرارة على الصفات المغناطيسية للبلورات، والذي يعرف بقانون كوري للحرارة، واشترك مع زوجته في بحوثها في النشاط الاشعاعي.

كما فُسر نفور الفتيات من العلوم والهندسة بصورة عامة الى اسلوب التدريس في المدارس الابتدائية والثانوية المختلطة، حيث تُشجع الفتيات على الابداع في المواضيع الانسانية والاجتماعية في حين يُشجع الفتيان على الاجتهاد في المواضيع العلمية (Holloway 1993)، وحتى في المستوى الابتدائي للدراسة حيث لاتزال امثلة كـ "ماري تساعد والدتها في المطبخ وجون يساعد والده في تصليح السيارة" من العوامل المسببة للتمييز بين الجنسين (Alexander 1983). وتعتقد موراغ الكسندر ان تشجيع الفتاة لتبدو بالضرورة جذابة وجميلة وتشجيع الفتى على ان يكون خشناً ومغامراً يؤكد على الصورة التقليدية لرقة المرأة وعاطفيتها المرأة ولحزم الرجل وقوته، في حين تُثبت الاحصائيات ان المرأة تعيش أكثر من الرجل ويمكنها العمل في الظروف الشاقة كما ان الرجل يمكن ان يكون رقيقاً وعاطفياً. وتشير مارغريت هولواي في مقال في مجلة ساينتفك اميريكان، الى ان الفتيات المتخرجات من الثانويات الخاصة بالبنات يبدعن في المواضيع العلمية اكثر من اللواتي تخرجن من ثانويات مختلطة، حيث يعانين من الخجل والخوف من الخطأ أو الفشل امام الفتيان، بعكس الفتيان الذين يحاولون اثبات مقدرتهم في العلوم تفاخراً امام فتيات صفهم، اضافة الى التشجيع المتحيز لهم من قبل مدرسي العلوم الذين معظمهم من الرجال (Holloway 1993). أما مكغرايان فتشير الى أن المدرسة غير المختلطة لها الاثر الكبير في تشجيع البنات على دراسة العلوم، حيث ان ثمانية من العالمات التسع الحاصلات على جائزة نوبل درسن في ثانويات خاصة للبنات، أي غير مختلطة (McGrayne 1993).

و تذكر باتريشيا آبوردين وجون نيزبيت امراً مشابهاً (Aburdene & Naisbitt 1993) حيث أشار كل منهما الى ان المنظمة النسوية لتشجيع النساء لدراسة العلوم والهندسة في بريطانيا Women into Science and Engineering (WISE) تقوم ضمن حملاتها الخاصة لهذا الغرض بتوفير حافلة بطابقين مزودة بأجهزة علمية مخبرية عديدة للسماح للفتيات باستخدامها (في مجال محاط بالفتيات فقط) دون منافسة الفتيان كما يحصل عادة في مختبرات الثانويات المختلطة. كما تقوم ضمن برنامج اخر يسمى Insight Programme بتوفير فرصة قضاء اسبوع في احدى الجامعات لمن ترغب بدراسة الهندسة للتدرب على ايدي مهندسات فقط.

تعزى ظاهرة ابتعاد المرأة عن دراسة العلوم، المستمرة بالرغم من ازالة الكثير من الحواجز الادارية والنفسية، الى ان المرأة لاتزال تتحمل المسؤولية الاولى في الحمل وتربية الاطفال مما يعيقها عن التقدم والاسهام العميق في البحوث العلمية، عندما تضطر للانقطاع عن العمل بسبب تلك المسؤولية. ولاتزال كافة الجامعات والمؤسسات الصناعية والحكومية والناس بصورة عامة عاجزين عن إيجاد حل لمشكلة التوازن بين المنحة الطبيعية للمرأة (الحمل والولادة) وتقدمها في المجالات العلمية. فعدد الساعات التي يحتاجها الاستاذ المساعد للعمل، خلال ثلاثينيات عمره، لاتقل عن ٦٠ ساعة اسبوعياً ليتمكن من الترقية الى الاستاذية في اربعينياته. خلال هذه الفترة قد تكون المرأة مشغولة بمرحلة الانجاب وتربية الاطفال الصغار مما يحرمها من التقدم العلمي والمهني المطلوب. وربما سيتفتق ذكاء النساء انفسهن عن حل لهذه المسألة في المستقبل القريب كما تعتقد مكغرايان.

أما لوندا شبينغر المتخصصة بتاريخ العلوم في جامعة ولاية بنسلفانيا فتشير الى انه لم تشهد فترة تاريخية تشجيعاً للنساء لدخول مضمار العلوم كما كما تشهدها الآونة الحاضرة. حيث تُوفر المنح المالية الخاصة للفتيات والكثير من التشجيع الا انهن ينسحبن من الميدان بمحض ارادتهن. لذلك خلصت في دراستها الى الاستنتاج بأن سبب احجام النساء عن دراسة العلوم بالرغم من توفر الفرص والتشجيع هو عيب في العلم نفسه يجعل المرأة تنفر من الاستمرار في مجال بحوثه. أي أن فشل محاولات تشجيع النساء لدخول ميدان البحث العلمي يعود الى طبيعة العلم نفسها وليس الى عدم التشجيع كما كان يُعتقد سابقاً (Holloway 1993). وهذا استنتاج غريب إذ ما هو يا تُرى العيب الذي يُنفّر النساء ولا يُنفّر الرجال من

العلم؟ كما ان هناك مواقع اخرى في المجتمع تقل فيها نسبة النساء عن الرجال مثل المناصب الوزارية والقضائية، فهل يعني ذلك أيضاً وجود عيب في تلك الوظائف؟ ان السبب الحقيقي الذي تأبى معظم الباحثات النشطات في الحركة النسوية الاقرار به هو الاختلاف الفطري بين الرجل والمرأة. وإذا كنا نعتمد على الاحصائيات لتخمين الاتجاهات الاجتماعية المختلفة فلماذا لاتُعتبر ضآلة نسبة النساء في مجال العلوم في الشرق والغرب، ومنذ دخول المرأة لميدان التعليم الجامعي وحتى يومنا هذا، بالرغم من التشجيع وازالة الاسباب التي تعيقهن عن التقدم في هذا المجال كمؤشرعلى ان النساء لا يرغبن في دراسة العلوم بطبيعتهن لا بالحث؟

تعزو زينب فريد سبب زيادة اقبال الفتيات المصريات على الكليات النظرية الى قلة التوجيه (فريد ١٩٨٠)، مقدمة بذلك تبريراً يشبه بصورة غير مباشرة تلك الذي تورده النشطات في الحركة النسوية العالمية. ويشير الدكتور محمد سلامة آدم في دراسته المستفيضة عن المرأة العاملة الى أن الضغوط النفسية تؤثر على المرأة بسبب العمل خارج البيت وداخله (آدم ١٩٨٢). ربما يكون الاخير هو احد الاسباب الاساسية التي تدفع الفتيات الى اختيار الدراسة التي يعتقدن انها لن تعيق بصورة كبيرة مسيرتهن في تكوين العائلة، وهو أمر تأخذه كل فتاة بنظر الاعتبار في مرحلة النمو والنضوج حين تفكر في مستقبلها، وهذا أمر يوضح الشمولية في التفكير بعيد المدى بدلاً من التفكير في المرحلة الآنية. وربما هذا هو السبب الرئيسي أيضاً للفتيات في الغرب ولكن يصعب عليهن الاعتراف به، لأن تكوين عائلة لم يعد محبذاً في مجتمعهن مثلما يحبذ السعي وراء أحدث انواع الملابس والزينة.

إن مما لاشك فيه أن إفساح المجال للمرأة للدخول الى مجالات الدراسات الاولية او العليا هو من ضرورات هذا العصر وكل عصر، كما ان افساح المجال أمام المرأة لأختيار ما تميل الى دراسته هو أفضل طريق لتحقيق احسن النتائج من استغلال القابليات العلمية أو الادبية المتنوعة للنساء، بدلاً من تحديد الخيارات أمامهن او اجبارهن على نوع محدد من الدراسات وما يؤدي اليه ذلك من خسارة للابداع الفردي الذي يمكن ان ينتج عن دراستها للموضوع الذي تميل اليه. لقد خصص الرسول ﷺ جزءاً من وقته لتعليم النساء امور دينهن اذ رُوي ان النساء قلن له: "غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك" فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وامرهن. وليس أفضل من الحديث النبوي الشريف الذي يحث على العلم وطلبه ولا يحدده بجنس أو طبقة كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم "إن من سلك مسلكاً في طلب العلم سهلت له طريق الجنة" و"فضل العلم أحب إليَّ من فضل العبادة وخير دينكم الورع".

الفصل الثالث

الأسرة المعاصرة

الأسرة المعاصرة

في مقدمة ملف مجلة افاق الاسلام عن موضوع تنظيم الاسرة في الاسلام نجد تعريفا بليغاً وشاملاً للنظرة الاسلامية للاسرة وفيه ما يلي: "... فروح الاسلام العامة وتشريعاته الخاصة تتجه الى اعتبار الاسرة وحدة تتمتع بالقداسة والطهارة والخيرية المطلقة، ولذلك يجب أن تتمتع بالرعاية والعناية .."(آفاق الاسلام، مارس ١٩٩٣، ص ٣٨). فالاسرة تنتج من عقد زواج بموافقة طرفين ومن ثم رعاية اطفال هذا الزواج ليكونوا عند نضوجهم البنيان المستقبلي المتين للمجتمع وليأخذوا بعد ذلك دورهم في الحياة الى ما شاء الله تعالى. وضَمَّنَ الدين الحنيف حماية حقوق الزوج والزوجة والاطفال بتشريعات محددة وواضحة لكافة أعضاء الأسرة في الظروف الحياتية الاعتيادية والظروف الطارئة، وللمشاكل التي قد تنجم من أختلاف الطبيعة البشرية وتستدعي الحل.

تُعرّف الاسرة النواة على انها العائلة المتكونة من الاب والام والاطفال، وهي ما كانت عليه حالة الأسرة في الغرب. كما ان هناك ما يسمى بالاسرة الكبيرة أو الممتدة، أي العائلة المتعددة الاجيال، التي تتكون من رئيس العائلة وزوجته وابنائهم المتزوجين والاحفاد، ويكثر هذا النوع من الاسر في الشرق واليابان (O'Connell 1994). كما أن الاسرة قد تشمل الاقارب مثل والدي الزوج او الزوجة واخوتهم واخواتهم وغيرهم، حيث حدد الاسلام حالات تكون فيها مسؤولية الاعالة على الاقارب، وهي احدى اهم اسباب اختلاف ارث الرجل عن ارث المرأة. أما

في الغرب فإن القوانين المدنية هي التي تتحكم في الامر وهذه تتغير بتغير الزمن والظروف السياسية والاجتماعية. فبعد سن الثامنة عشرة يمكن للاب، أو للام، أن يطرد ابنه أو ابنته من بيته أو يطالبه بإيجار لسكنه في البيت وكأنه شخص غريب لا يمت له بصلة. لذلك لا عجب أن نرى كبار السن من الرجال والنساء يعيشون في مساكن كبار السن الحكومية كالسجناء، لا يعرفهم ابناؤهم ولا يعطفون عليهم. أو نراهم يعيشون آخر سنوات عمرهم ويموتون في مساكنهم لوحدهم وأحياناً لا يُعثر على جثثهم الا بعد مرور وقت طويل على الوفاة. فالعلاقات التي تحكمها قوانين بشرية تختلف جوهرياً عن العلاقات التي رُسمت من قبل خالق البشر عز وجل لصالح معيشتهم في الدنيا والاخرة. ولما كانت طبيعة البشر لاتختلف في الشرق عنها في الغرب فستبقى قداسة العائلة الركيزة الاساسية للمحافظة على الاخلاق وعلى تماسك المجتمع. سيتضح هذا لاحقاً من ملاحظة العوامل المؤثرة على الاسرة كالزواج والطلاق.

٣-١ الزواج

ورد تعريف الزواج في الموسوعة البريطانية على أنه اتحاد ابدي بين رجل وامرأة عند المسيحيين، اما عند المسلمين فهو عقد بين طرفين يمكن انهاؤه بالطلاق المشروط. بالرغم من أن معظم العالم الغربي يدين بالمسيحية بمختلف كنائسها فان تعريف الاتحاد الابدي لم يعد يحمل المعنى المذكور حتى لرجال الكنيسة انفسهم، فقد انتشر الطلاق في جميع انحاء العالم الغربي وحتى في ايطاليا، حيث لا تعترف الكنيسة الكاثوليكية حتى الان بالطلاق ولا تسمح بزواج المطلقين في الكنيسة، رغم انها اعترفت منذ عام ١٩٧٠ بالطلاق المدني (أي خارج الكنيسة) بعد زيادة ضغوط المشاكل المتعددة. وضجت الصحافة ووسائل الاعلام البريطانية خلال شهر نوفمبر ١٩٩٤، بالاحتجاج على رفض الكنيسة الانجليزية الموافقة على الزواج الثالث لاحد رجال الدين الذي كان قد طلق مرتين وأعلن رغبته بالزواج للمرة الثالثة، وطالبت الكنيسة القس المذكور بترك عمله في الكنيسة ان اصر على الزواج، فما كان منه الا ان قرر ترك الكنيسة.

لقد اضمحلت مفاهيم الاسرة في الغرب حتى ان مصطلح الزوج او الزوجة لم يعد مألوفاً كألفة المصطلح الجديد وهو الشريك partner، بعد ازدياد حالات العيش سوية من غير زواج.

كما ان تغيير اسم عائلة الزوجة الى اسم عائلة زوجها الذي كان شائعاً بدأ يضمحل بل أحياناً يتحول الى العكس كما يحدث في امريكا، أي يحول الزوج اسم عائلته الى اسم عائلة زوجته. كما ان هناك ظاهرة احتفاظ المرأة باسم عائلتها واضافة اسم عائلة زوجها اليه كما فعلت الباحثة ثيودورا فوستر كارول. أما المرأة المسلمة فلم تتعرض لمثل هذه التقلبات اذ انها -ولاتزال- تحتفظ باسم عائلتها بعد الزواج ويبقى ارتباطها بهم قوياً ومستمراً، حيث يمكنها العودة الى حماية عائلتها ورعايتها في حالة فشل زواجها وتركها لبيت الزوجية. أما معيار الزواج الاسلامي فهو حديث الرسول ﷺ: "تُنْكح المرأة لاربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك". وكذلك بالنسبة لاختيار الزوج حيث شجع ﷺ اختيار الحريص على دينه بقوله: " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه". ويعلق الدكتور صبحي الصالح على الزواج في الاسلام قائلاً "لقد وصف الزواج بٍ "الميثاق الغليظ" تأخذه النساء من الرجال ويضعن فيه مايُردن من الشروط مثل العصمة او عدم الزواج بثانية" (الصالح ١٩٨٠).

حتى قضية الخيانة الزوجية في الغرب لم تعد شيئا مرفوضا، بل اصبحت تعد ضمن الحرية الشخصية الفردية وأصبح مفهوم الاخلاص الزوجي بالنسبة للزوج والزوجة على السواء غير واقعي. عندما يُنتقد التشريع الاسلامي بتعدد الزوجات، الذي هو سماح مقيد بالعدالة وليس فرضاً، يَتَغافل المُنتقدون عن شيوع العلاقات غير الشرعية خارج الزواج بنسب عالية جداً في المجتمعات الغربية وما يسببه ذلك من ارتفاع عدد عمليات الاجهاض والولادات غير الشرعية وغير ذلك من مشاكل اخلاقية واجتماعية وصحية شتى لاتزال بعيدة عن المجتمعات الاسلامية. وتُعد زيادة نسبة النساء في المجتمع على نسبة الرجال احدى اسباب ظهور العلاقات غير الشرعية خارج الزواج في الغرب، ففي دول اوروبا كافة تزداد نسبة النساء على نسبة الرجال باستثناء ايسلندة (Guiness 1994). وكذلك الشيء نفسه في جمهوريات الاتحاد السوفييتي سابقاً ماعدا الاسلامية منها (Ryan & Prentice 1987). ان من الحقائق التي يجب الاشارة اليها هي اساءة الكثير من المسلمين لمبدأ تعدد الزوجات واستخدامهم له في غير ما وضع له. اذ ان الامر وكما يوضحه الصالح "فمن آنس من نفسه الجور وخاف ألا يعدل فعليه بصريح القرآن العظيم ان يقتصر على زوجة واحدة" (الصالح ١٩٨٠)، ولكن المشكلة تكمن في قلة من يعترف بانه غير قادر على العدل. ان هذا العيب في التطبيق يأخذه كثير من الباحثين مدخلاً للهجوم على التشريع الحنيف.

أوجز الدكتور مهدي فضل الله موضوع تعدد الزوجات حين قال: "ان التعدد في الشريعة ليس من الواجبات ولا من المستحبات وانما مُشرع لحاجة ماسة ومصلحة خاصة، ولا يمكن الاحتجاج به للنيل من الشريعة والدين، وانما يجب الاحتجاج بالشريعة والدين على الناس الذين يسيئون فهم الدين، ويفسرون الشريعة وفق مقاصدهم وأهوائهم" (فضل الله ١٩٩٤). تصنف اسباب التعدد الى نوعين: الاول هو لضرورات اجتماعية مثل الحروب ومقتل اعداد كبيرة من الرجال فيها وما يعنيه هذا من ترمل العديد من النساء، او الرغبة في زيادة التكاثر وغير ذلك؛ النوع الثاني هو لضرورات شخصية مثل مرض الزوجة او عقمها او عمل الزوج بعيدا عن بيته (الصالح ١٩٨٠). وكما ذكر سابقاً فإن جان غودوين تعتقد ان الكثيرات من الامريكيات قد يفضلن حالة الزوجة الثانية على العيش على انفراد في مجتمع "الحرية" (Goodwin 1994). كما يذكر الصالح ان أهالي مدينة بون، عاصمة المانيا (الغربية حينذاك)، قدموا في عام ١٩٤٩ طلباً الى السلطات بالسماح بتعدد الزوجات. فالاسلام يبغي مجتمعاً نقياً خالياً من الفساد والتحلل الذي أصبح من سمات المجتمع الغربي. إن تشريع الدين الحنيف منذ أربعة عشر قرناً يؤكد في كل مجال من مجالات الحياة ان مصدره هو الخالق العظيم للانسان، وهو تشريع ملائم لكل العصور ولكل البشر وليس تشريعاً بشرياً يصلح للبشر فقط خلال حقبة تشريعيه معينة. فطبيعة الانسان واحدة في الشرق والغرب ولا مفر من مواجهة الواقع بالتشريع الالهي العادل الملائم للجميع ولكل الازمان بدلاً من التشريع البشري المتحيز ومحدود الفهم زماناً ومكاناً.

إن من أهم دعائم الاسرة هو نضوج الزوجين وتفهمهم لمهمة تكوين الاسرة ومسؤوليتها، لذلك فان ظاهرة زواج المراهقين في الغرب تعد من اهم اسباب انحلال الاسرة وتفككها خلال سنوات قليلة من تكونها. فنجد مثلاً في بريطانيا بان ثلث حالات الزواج في عام ١٩٧٢ كانت بين مراهقين، كما تشير أرقام عامي ١٩٦٩ و١٩٧٠ الى ان ثلث المراهقات المتزوجات كنّ حوامل، و ٤٣٪ من الولادات غير الشرعية كانت لمراهقات. لقد كانت ٧٠٪ من الولادات غير الشرعية قبل الحرب العالمية الثانية تُحول الى شرعية بالزواج، ثم انخفضت هذه النسبة بشدة خلال الحرب ثم ارتفعت ثانية بعدها لتصل الى ٥٤٪ بين ١٩٦٤-١٩٧٠(Lewis 1992)، ويوجد بليون مراهقة في العالم تحمل منهن سنوياً ١٥ مليون دون زواج قانوني، وغالبية هؤلاء المراهقات الحوامل هن من اسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية فان هناك نسبة غير قليلة من اوروبا وامريكا الشمالية (O'Connell 1994).

إن احدى الامور التي تُنتقد فيها المجتمعات الاسلامية هو اجبارالمراهقات على الزواج دون رغبتهن (Goodwin 1994). إن الزواج في الاسلام مشروط بالموافقة وكما في الحديث النبوي الشريف : "أمّروا النساء في أنفسهن، فإن الثيب تعرب عن نفسها وأذن البكر صمتها". تذكر كتب السيرة قصة الخنساء بنت خذيم الانصارية التي اشتكت الى الرسول ﷺ من تزويج أبيها لها من ابن اخيه ضد ارادتها، فقال لها الرسول ﷺ "إذهبي فلا نكاح له، إنكحي من شئت"، فقالت: "قد أجزتُ ما صنع أبي ولكني أردتُ أن يعلم الناس أن ليس للاباء من امور بناتهم شيء".

مما يؤسف له ان يتم تجاوز شرط موافقة المرأة هذا في بعض المجتمعات الاسلامية أحياناً عن قصد وتعمد واخرى عن جهل، وان كان هذا ليس بعذر، وذلك لتنفيذ تقاليد اجتماعية لا تمت للاسلام بصلة. مما يستدعي تثقيف الرجال أولاً بهذا الشرط قبل تثقيف النساء بحقهن الشرعي في الرفض. أما اذا تم شرط الموافقة وحصل الزواج بدون اكراه، فان زواج المراهقات المسلمات لا يمكن ان يقارن بزواج المراهقات في الغرب، لأن الاول سيكون ضمن الاسرة الكبيرة، التي هي اسرة الزوج، حيث تقوم برعاية الاسرة الجديدة مادياً ومعنوياً، وتزودها بالخبرة والرعاية حتى يشتد ساعدها. أما في الغرب فان الزواج يتم خارج نطاق الاسرة وبدون تدخلها مما يؤدي بالزوجين المراهقين الى الوقوع فريسة مشاكل عديدة غالباً ما تنتهي بانفصال مبكر وضياع الاطفال بين الام والاب بسبب قلة خبرة الزوجين وعدم وجود من يساعدهما، هذا ان تم عقد زواج رسمي بينهما.

٣-٢ الطلاق

أن نسبة الطلاق(*) العالية الحالية تشير بوضوح الى تدني أهمية مكانة الاسرة في حياة الفرد في الغرب. وتشير جين لويس في دراستها عن النساء في بريطانيا بعد عام ١٩٤٥ الى أن أرقام الطلاق شهدت ارتفاعاً مفاجئاً بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بسبب حالات الغياب الطويل للاعداد الهائلة من الرجال الذين شاركوا في الحرب اضافة الى تغيرات اخرى في

* إن نسب الطلاق تعرض باشكال متعددة: فمن عدد حالات الطلاق لكل ١٠٠٠ زواج، الى عددها لكل ١٠٠٠ من السكان، أو كنسبة مئوية بين النساء المتزوجات، أو نسبة مئوية لفئة عمر معين وغير ذلك. وهذا يتطلب الانتباه لنوع الاحصاء عند المقارنة.

ظروف المعيشة. كما اشارت الى زيادة عدد المواليد غير الشرعيين وحالات الاجهاض التي تعزى الى زيادة عدد العلاقات غير الشرعية (Lewis 1992). ويعتبر غالبية الباحثين بأن بداية الستينات هو التاريخ الحقيقي لبدء انهيار الاسرة بمفهومها التقليدي في بريطانيا، حين تحولت الحركة النسوية في نهاية الستينات من المطالبة بالمساواة الى المطالبة بالتحرر. وتقول احدى النشطات في الحركة بان على النساء، لاثبات موقفهن من "حركة التحرير" هذه، ان يمتنعن عن الزواج، وتنتقد النساء لانهن لا يزلن يتزوجن وتعتقد كل واحدة منهن ان زواجها سيستمر الى الابد (Alexander 1983). وتشير أرقام عام ١٩٨٤ الى ان ٧١٪ من طلبات الطلاق في بريطانيا قد تقدمت بها الزوجة (Lewis 1992). وربما كان ذلك نتيجة تأثير القوانين الجديدة التي اسهمت الحركات النسوية في الحث على تشريعها.

ويمكن الاشارة هنا الى ما يُنتقد فيه التشريع الاسلامي من سهولة الطلاق للرجل وصعوبته للمرأة، فواقع الامر هو ان الاعباء المادية تقع على الزوج عند الطلاق، الامر الذي يضطره الى التفكير ملياً قبل الاقدام عليه، في حين تتسرع المرأة في طلب الطلاق وربما لامور لا تستحق هذا التدمير للعائلة، كما يتضح من النسبة العالية لطلبات الطلاق. إن هذا الرقم المرتفع من الطلبات هو مؤشر على تسرع المرأة في طلبه إذا أتيح لها المجال لذلك.

أما عدد حالات الطلاق لكل ١٠٠٠ زواج في بريطانيا خلال النصف الثاني من القرن العشرين فقد ازدادت ستة أضعاف خلال ٢٨ سنة وكما موضح في الجدول (٣-١) الذي يستعرض معدلات الطلاق في بعض الدول الاوربية (Lewis 1993).

وفيما يلي الجدول (٣-١): الذي يبين عدد حالات الطلاق لكل ١٠٠٠ زواج فعلي في بعض الدول الاوربية خلال النصف الثاني من القرن العشرين (Lewis 1993).

الدولة	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٨٠	١٩٨٨
الدنيمارك	٥,٩	٧,٦	١١,٢	١٣,١
المانيا	٣,٦	٥,١	٦,١	*٨,٨
فرنسا	٢,٩	٣,٣	٦,٣	٨,٤
ايرلندة	.	.	.	.
ايطاليا	.	.	٠,٨	٢,١
المملكة المتحدة	٢	٤,٧	١٢	١٢,٣
النرويج	–	٣,٧٣	**٧,٣٨	٩,٣٧
السويد	–	٦,٨٥	**١١,٤٤	١٠,٧

* ١٩٨٧ ** ١٩٨١

إن احد أهم أسباب عزوف الرجال عن الزواج وتفضيل العلاقات غير الشرعية هو التأثير المادي للطلاق، حيث يتم في بريطانيا تقسيم الممتلكات الى النصف بين المتطلقين، حتى ولو كانت الزوجة لا تعمل وكان الرجل هو صاحب الاملاك؛ وحصول المرأة المطلقة على نصف ممتلكات الرجل يعد من أهم أنجازات الحركات النسوية، حيث اعتمدن حجة عمل المرأة في البيت دون أجر وفقدانها بذلك فرصة العمل خارج البيت والحصول على مصدر مالي خاص بها. وكما ذُكر سابقاً فان الحركات النسوية لاتتردد في "المطالبة بأجر لعمل المرأة في البيت" وفي الوقت الذي يوصم فيه المهر في الشريعة الاسلامية بأنه ثمن صفقة الزواج التجارية! فقد توصلت الحركات النسوية البريطانية مؤخراً الى طرح مسألة اقتسام المطلقة لراتب طليقها التقاعدي للنقاش في البرلمان البريطاني. وقد اسهم كل هذا في نفور الرجال من الزواج، إذ هبط عدد المتزوجين لأول مرة، في بريطانيا من ٣٤٠ الف في عام ١٩٦١ الى ٢٢٢ الف لعام ١٩٩١، أي هبط بنسبة تقارب ٣٥٪ (Central Statistical Office 1994). ولا تشمل هذه الارقام عدد الذين يعيشون مع بعضهم كأزواج دون رابط قانوني.

ويذكر أبوردين ونيزبيت نسب الطلاق في بريطانيا بصورة اخرى فيشيران الى ان نسبة ١٠٪ من حالات الطلاق كانت تحصل بعد ٢٥ سنة من الزواج في عام ١٩٥١ ، أما في عام ١٩٦١ فقد اصبحت هذه النسبة من الطلاق تحصل بعد ١٢ سنة من الزواج، وفي عام ١٩٧١ اصبحت بعد ست سنوات أما في عام ١٩٨١ فقد أصبح بعد خمس سنوات. أما عدد حالات الطلاق السنوية في بريطانيا حالياً فهو ١٦٠ ألف مقارنة بسبعة آلاف قبل خمسين عاماً، أي بزيادة حوالي ثلاثة وعشرين ضعفاً، ونجد أن معدل النسبة المئوية للطلاق هو ٣٧٪ مما يؤثراً بذلك على حياة ٢٤٪ من الاطفال الذين تقل أعمارهم عن ١٦ سنة (Aburdene & Naisbitt 1993).

شرعت ولاية كاليفورنيا عام ١٩٧٠ قانون الطلاق "دون خطأ" no fault ثم تبعتها في تطبيقه باقي الولايات. ويسمح هذا القانون بالطلاق دون التعقيدات السابقة التي تخلقها محاولة ايجاد سبب يوجب الطلاق او القاء المسؤولية على عاتق احد الطرفين. ولقد اعتبر هذا القانون في البداية نصراً للنساء ليسهل عليهن التخلص من الزوج دون توفير أسباب كافية لذلك، غير أن الامر كان له آثار سلبية ايضاً على الغالبية من النساء فقد اصبح هذا القانون للرجل ايضاً وسيلة سهلة للتخلص من زوجته متى شاء. فازداد عدد النساء المطلقات في

منتصف العمر واللاتي عشن دون عمل (أي ربات البيوت) واعتمدن على الزوج، ووجدن انفسهن فجأة مطلقات دون مصدر معيشة ولا مهنة يمكن ان يرتزقن منها (Hartmann 1989). وتنتهي نصف عدد الزيجات في امريكا بالطلاق وهي اعلى نسبة طلاق في العالم كافة وتليها بريطانيا حيث تنتهي ثلث الزيجات بالطلاق (Alexander 1983; O'Connell 1994). هكذا نجد ان تغيير القوانين لتلبية مطالب الناس والنزول على رغباتهم وأهوائهم لا يؤدي الا الى مزيد من المشاكل غير المتوقعة، بينما توجد في القانون الالهي المطلق أفضل الحلول لمشاكل البشر كافة.

تبين المقارنة بين حالات الطلاق في الدول الاوربية بأن أعلى الارقام هي في بريطانيا وفنلندة حيث ترتفع الى ٢,٩ لكل الف من السكان وتليها الدنمارك بعدد ٢,٧ (Guiness 1994). أما في الاتحاد السوفييتي (سابقاً) فان نسب الطلاق، التي يوردها ريان وبرينتيس، تتغير حسب الجمهوريات المختلفة ومنها يبدو الفرق واضحاً بين النسب الموجودة في الجمهوريات الاسلامية عن تلك التي في غيرها. فمعدل حالات الطلاق عند المسلمين الذين يمثلون ٢٥٪ من المجموع الكلي للسكان، أي ٢٨٦ مليون نسمة (افاق الاسلام، ١٩٩٣ ص ١٢٢، أذار)، هو ٨,٦ لكل الف زواج عند المسلمين، بينما ترتفع النسبة الى ١٤,٤ عند غيرهم حسب احصاء عام ١٩٧٨, لقد ازدادت حالات الطلاق عدة اضعاف، فمعدل الطلاق في عموم الاتحاد السوفييتي (سابقاً) ولكل ألف من السكان كان ٠,٤ في عام ١٩٥٠ وارتفع الى ١,٣ عام ١٩٦٠ والى ٢,٦ عام ١٩٧٠ و٣,٥ عام ١٩٨٣, أي بزيادة تسعة أضعاف خلال ٣٣ عاماً (Ryan & Prentice 1987).

تعرض جداول الامم المتحدة المعلومات عن الطلاق لمعظم دول العالم كنسبة مئوية من عدد النساء الكلي للفئة العمرية (٢٥-٤٤)، كما يتضح من الجدول (٣-٢). ان هذه الارقام تخص الذين سجلوا زواجهم رسمياً أما الذين يعيشون مع بعضهم دون رباط رسمي فلا تتوفر ارقام انفصالهم (United Nations 1991). يتضح من الجدول ان اعلى نسبة طلاق لهذه الفئة هي في أمريكا وأقلها في ايطاليا حيث لايزال الطلاق قليلاً بالرغم من اعتراف الكنيسة بالطلاق المدني. أما الدول الاسلامية فترتفع نسب الطلاق فيها في الدول التي تتضمن شعوبها أقليات غير مسلمة عديدة. وبشكل عام، يتجاوز معدل الطلاق في الدول المتقدمة بأكثر من ثلاثة اضعاف هذا المعدل في الدول الاسلامية.

وفيما يلي الجدول (٣-٢) :والذي يبين النسبة المئوية للمطلقات ضمن الفئة العمرية ٢٥-٤٤ سنة في بعض الدول المتقدمة والاسلامية (United Nations 1991

الدولة	النسبة المئوية
بعض الدول المتقدمة	-
امريكا	١١,٤
المانيا الشرقية (سابقا)	١٠,٩
الدانمارك	١٠,٤
السويد	١٠,٢
الاتحاد السوفيتي (سابقا)	٩,١
المملكة المتحدة	٨,٨
كندا	٥,٤
اليابان	٣,٤
ايطاليا	٠,٤
معدل ٣١ دولة متقدمة	٦
بعض الدول الاسلامية	
اندونيسيا	٤,٥
ماليزيا	١,٨
مصر	١,٥
العراق	١,٣
تونس	١,٣
الاردن	١,١
بنغلاديش	١,١
تركيا	٠,٩
ايران	٠,٨
باكستان	٠,٥
افغانستان	٠,١
معدل ١٧ دولة اسلامية	١,٨

إن الطلاق في الشريعة الاسلامية مقرون بشروط واسباب وردت تفاصيلها في الكثير من الآيات القرآنية. وكل اساءة في استغلال الشرع الحنيف يقع اثمه على المسيء نفسه وليس على الشرع. لقد كان للمرأة حق طلب الطلاق منذ اربعة عشر قرناً حسب الشريعة الاسلامية، وهو حق لم تحصل عليه المرأة في الغرب الا خلال النصف الثاني من القرن الحالي. إن نسب الطلاق التي لا تزال متدنية في الاسرة المسلمة، وكما اتضح من الجدول (٣-٢)، هي احدى اهم مؤشرات تماسك هذه الاسرة ونجاحها وصمودها بالرغم من المشاكل السياسية والاقتصادية التي تواجهها مجتمعاتها. ففي انموذج من ٢٥٩٠ امراة في عمان وُجد ان النسبة المئوية للمطلقات هي ١,١٦٪ والمنفصلات ٠,٨٥٪ أي بمجموع كلي قدره ٢٪(Shani et. al. 1990). اما في سوريا فالنسبة هي ٧,٩٪ شايدولينا ؟ وفي ايران ١٠٪ حسب احصاء عام ١٩٨٦(Sanasarian 1992). فإذا كانت الظروف السياسية والاقتصادية تلعب دوراً هاماً في زيادة المشاكل العامة وانعكاسها على استقرار الاسرة في الدول الاسلامية، فما هي الاسباب التي يمكن أن تُبرر بها نسب الطلاق العالية في المجتمعات المستقرة سياسياً واقتصادياً؟ لا مفر من الاستنتاج بأن قوانين التحلل التي شُرعت في الربع الاخير من هذا القرن كان لها التأثير الاعمق على ما يحصل.

٣-٣ المواليد غير الشرعيين

نشرت مجلة العربي في عدد نوفمبر(تشرين ثاني) ١٩٩٣ ص ١٨٩ تحت عنوان "أهي حضارة ومدنية أم تقهقر الى عهود الهمجية؟" أرقاماً صارخة لاحصائيات عن نسبة المواليد غير الشرعيين في سبع من دول اوربا الغنية المتقدمة، هي الدنمارك وفرنسا وبريطانيا وايرلندا والمانيا وهولندا وايطاليا. حيث بينت هذه الاحصائيات الزيادة السريعة خلال عقدين من الزمان في هذه الارقام. وجمعت الدنمارك اعلى الارقام، حيث ارتفعت نسبة المواليد غير الشرعيين فيها من ٥٪ عام ١٩٦٠ الى ١١٪ عام ١٩٧٠ ثم الى ٣٣٪ عام ١٩٨٠ لتصل الى ٤٦٪ عام ١٩٩٠، أي انها تضاعفت تسع مرات خلال ثلاثين عاماً. أما باقي الدول السبع فتشير احصائيات عام ١٩٩١ الى أن هذه النسبة هي ٣١,٨٪ في فرنسا (تضاعفت خمس مرات عن ارقام ١٩٦٠(، وفي بريطانيا ٢٩,٨٪ تضاعفت ست مرات)، و١٦,٦٪ في ايرلندا

(تضاعفت عشرة مرات) و١,١٥٪ في المانيا و١٢٪ في هولندا و٦٪ في ايطاليا (Central Statistical Office 1994). أي ان حوالي نصف مواليد الدنمارك لا ينتمون الى اسرة مستقرة، ويقابلهم ثلث عدد المواليد في بريطانيا وفرنسا. أما في أمريكا فان النسبة ترتفع الى ٢٪ (United Nations 1991)، وفي كندا يعيش ٣٥٪ من والدي الاطفال سوية ودون زواج رسمي (O'Connell 1994).

ان ما يشجع على استمرار هذه الزيادة هو الضمان الاجتماعي الذي يكفل للام وطفلها الحصول على تكاليف السكن والمعيشة، خارج نطاق الاسرة التقليدية الصحية، والتي تحصل عليها المرأة على حساب "دافعي الضرائب" في حالة انجابها خارج نطاق الاسرة التقليدية. ففي بريطانيا تشير احصائيات عام ١٩٩٥ الى وجود ٦٥٠٠٠ حالة حمل سنوياً لفتيات مراهقات تقل أعمارهن عن السن المسموح به للزواج. فبدأت الدولة مؤخراً بمحاولة تقليل ما تدفعه لهؤلاء الامهات من سكن ومعيشة بإجبار والد الطفل على المساهمة في نفقات معيشته اذا كان متمكناً مادياً. إلا أن هذه الحملة لم تحظ بالنجاح بسبب رفض معظم الفتيات التصريح باسم الاب لحجج مختلفة مثل خوفهن من الانتقام وتأثير ذلك على الطفل. ان السبب الاساس هو رغبتهن في استمرار الضمان المادي الكامل من الدولة اضافة الى ما يمكن ان تحصل عليه كل منهن من مال في الخفاء من والد الطفل وهو اقل مما كان سيدفعه حسب القانون. لقد تضاعفت أرقام الولادات غير الشرعية عدة مرات في بريطانيا خلال النصف الثاني من القرن العشرين كما في الجدول (٣-٣) كنسبة مئوية من مجموع الولادات (Lewis 1992). أما الجدول (٣-٤) فيبين زيادة عدد الولادات غير الشرعية في بعض الدول الاوربية لكل ١٠٠٠ ولادة (Lewis 1993).

وفيما يلي **الجدول (٣-٣)**: والذي يبين النسبة المئوية لعدد الولادات غير الشرعية من مجموع الولادات في بريطانيا خلال النصف الثاني للقرن العشرين (Lewis 1992).

السنة	١٩٥٠	١٩٦١	١٩٧١	١٩٨١	١٩٨٦	١٩٨٨
النسبة المئوية	٥	٥,٨	٨,٤	١٢,٨	٢١,٤	٢٥,٦

وفيما يلي الجدول (٣-٤): والذي يبين عدد الولادات غير الشرعية لكل ١٠٠٠ ولادة في بعض الدول الاوربية (Lewis 1993).

الدولة	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٨٠	١٩٨٨
الدنيمارك	٧٨,٢	١١٠,٣	٣٣١,٧	٤٤٦,٨
المانيا	٦٣,٣	٥٤,٦	٧٨,٦	١٠٠,٧
فرنسا	٦٠,٧	٦٨,٤	١١٣,٨	٣٦٢,٣
ايرلندة	١٥,٩	٢٦,٥	٥٠,٣	١١٦,٧
ايطاليا	٢٤,٢	٢١,٨	٤٢,٩	٥٨,١
المملكة المتحدة	٥٢,٢	٨٠,٤	١١٥,٢	٢٥١,٤
النرويج	٤٠	٦٩	١٤٥	* ٣٦٠
السويد	١١٢,٨	١٨٣,٩	٣٩٧,٢	**٤٨٣,٨

* ١٩٨٩   ** ١٩٨٦

٣-٤ الإجهاض

يعد الإجهاض أحد اهم مطالب الحركات النسوية في العالم. وتعرّف الحركات النسوية الاجهاض بأنه: " عملية انهاء حمل غير مرغوب فيه "! (Alexander 1983) أو "حق المرأة في الاختيار" (O'Connell 1994). والتعريف الاول يوضح تبرير موقف هذه الحركات من هذه الجريمة، التي هي في حقيقتها "عملية قتل جنين غير مرغوب فيه". أما التعريف الثاني فيصرف التفكير عن الاتجاه الحقيقي للقضية ويحرفه. إن قضية الإجهاض والسماح به أو منعه هي أحدى أهم نقاط الخلاف بين الحركات النسوية المتعاكسة. إذ تعده بعض هذه الحركات احد حقوق المرأة التي يحرمها من القانون، وتفضل احدى الحركات النسوية التركيز على تشجيع الوسائل التي تنفي الحاجة لاجراء عملية الاجهاض، واستخدام وسائل اخرى مثل حبوب الاجهاض، بدلا من السعي للسماح به. من جهة اخرى ترفع الحركات المناوئة للاجهاض شعار "حق الحياة" للجنين القتيل. وتدعي الحركات النسوية أن المعادين لها حولوا اتجاه الحركة من حق التكاثر للمرأة الى حق الجنين في الحياة (Hartmann 1989) وتشير التقديرات إلى أن ما بين ٤٠ الى ٦٠ مليون امرأة في العالم سنوياً تحاول اجراء عملية إجهاض لجنين غير مرغوب فيه (O'Connell 1994)، أي قتل ما بين ٤٠ الى ٦٠ مليون جنين.

لقد كانت معظم عمليات الاجهاض في بريطانيا تتم في السر حتى شرع عام ١٩٦٧ قانون السماح بالاجهاض، حمايةً للاعداد الهائلة من المراهقات اللاتي يقدمن على ذلك في الخفاء وفي ظروف صحية سيئة في "عيادات" الشوارع الخلفية. وكان شرط الموافقة على اجراء العملية هو الحصول على تقرير من طبيبين يؤكدان ضرورة انهاء الحمل لتأثيره السيئ على الأم نفسياً او جسمياً. لقد ازداد عدد عمليات الاجهاض الرسمية في المستشفيات الحكومية من ٢٣٠٠ حالة في عام ١٩٦١ الى ٩٧٠٠ في عام ١٩٦٧, ويقدر بأن عشرة آلاف عملية اجهاض في العيادات الخاصة تتم سنوياً، اضافة الى ما بين ١٥٠٠٠ الى ١٠٠٠٠٠ عملية في الاماكن غير المرخصة، أي في عيادات الشوارع الخلفية قبل اصدار قانون الاجهاض. ثم ارتفع العدد الرسمي بعد تطبيق القانون الى ١٦٩٣٦٢ عملية اجهاض في عام ١٩٧٣,

ومن الغريب ان زيادة عدد عمليات الاجهاض لم تسهم في تخفيض عدد الولادات غير الشرعية التي استمرت هي الاخرى في الارتفاع، كما يتضح من الجدولين (٣-٣) (٣-٤) أعلاه. تصنف بعض الجداول الاحصائية (Central Statistical Office 1994) الاجهاض حسب العمر والحالة الاجتماعية (أي متزوجة اومطلقة اوغير متزوجة وغير ذلك) تشير هذه الاحصائيات الى أن أعلى نسبة اجهاض لغير المتزوجات في بريطانيا لعام ١٩٩٢ تقع في الفئة العمرية ٢٠-٣٤ سنة، حيث تشكل ٦٨,٥٪ من مجموع حالات غير المتزوجات و٢٨,٣٪ للمراهقات غير المتزوجات. كما تمثل غير المتزوجات أعلى نسبة للاجهاض، فالمجموع الكلي للاجهاض ازداد من ٦٣,٤ الف عام ١٩٧١ الى ١٢١,٨ الف عام ١٩٩٢ لكافة الاعمار من قبل غير المتزوجات، أي تضاعف العدد خلال عشرين عاماً. أما المتزوجات فقد هبط العدد للفترة الزمنية نفسها من ٥٨,٦ الف الى ٤٠,٤ ألف. ويعزى هذا الى تطور وسائل منع الحمل التي تستخدمها المتزوجة فتوفر على نفسها عملية الاجهاض. أما المجموع الكلي لكافة الاعمار والحالات الاجتماعية فقد ازداد من ١٣٣١٠٠ عام ١٩٧١ الى ١٨٢٨٠٠ عام ١٩٩٢، أي بزيادة ٥٪. .ثم اعطيت صلاحية الموافقة على اجراء عملية الاجهاض الى مديري المستشفيات (من غير الاطباء) بدلاً من الاطباء المتخصصين، مما ادى الى زيادة عدد حالات عمليات الاجهاض بسبب تساهل المديرين الذين يفوق تساهل الاطباء الذين قد يحملون مبادئ اعمق من تلك التي يحملها المديرون (التايمس البريطانية عدد ٣ يناير ١٩٩٥). وبالرغم من تساهل القانون فان اعتراض الحركات النسوية لا يزال قائماً على اساس ان الرجل، الذي هو

الطبيب او مدير المستشفى في هذه الحالة، هو الذي يقرر الموافقة على امر يخص المرأة!(Lewis 1992)، ولا تُؤخذ الاعداد الهائلة التي ارتفعت الى أربعة ملايين جنين قتيل منذ اصدار القانون في عام ١٩٦٧ بنظر الاعتبار.

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فقد بدأت عمليات الاجهاض في الستينات بناءً على اقتراح الاطباء والمتخصصين لانهاء حالات الحمل لجنين مشوه أو في حالة وجود خطورة على حياة الحامل، حيث ساعد في ذلك تطور اجهزة الكشف عن الحالة الصحية للجنين وللمرأة الحامل. ثم تدخلت الحركات النسوية في محاولة للحث على زيادة السماح بعمليات الاجهاض لانقاذ الاف المراهقات من استخدام العيادات غير المرخصة، وبصورة سرية، لما فيه من اثر سلبي على صحتهن ومما قد يكلف بعضهن حياتهن. وقد أجازت اربع ولايات في عام ١٩٧٣ الاجهاض في مراحل الحمل الاولى، هي هاواي والاسكا وواشنطن ونيويورك. وتتبنى كل ولاية امريكية قانونها الخاص، الا انه وبصورة عامة لا يزال الاجهاض يتطلب أستحصال موافقة الزوج أو الوالدين للقاصرات وعدم اجراء العملية الا بعد مرور مدة كافية على طلب اجراء عملية الاجهاض، اضافة الى منع استخدام المنح الحكومية لدعم هذه العمليات، أي لاتجرى هذه العمليات مجاناً لمن تعيش في ظل النظام الاجتماعي الحكومي كما هو الحال في بريطانيا. وقد فشلت الجمعيات والمنظمات النسوية في الحصول على الموافقة غير المشروطة بالسماح القانوني بالاجهاض، بل ازدادت التشديدات على الاجهاض مؤخراً، ويُعزى بعض هذا الفشل الى نشاط الجمعيات النسوية المناهضة لهذه المطاليب والتي تنادي بشعار "حق الحياة" للجنين ضد ما يسمى بِ "حق التكاثر" للمرأة (Hartmann 1989).

بدأ بعض المتطرفين الاصوليين من المسيحيين بمهاجمة العيادات التي تجرى فيها عمليات الاجهاض في الولايات المتحدة الامريكية، فقد قُتل أحد الاطباء ومساعده خارج عيادته الخاصة بالاجهاض في ولاية فلوريدا في عام ١٩٩٣ من قبل قس متطرف أطلق عليهما النار، وصدر الحكم عليه بالاعدام في ١٩٩٤/١٢/٦. كما قَتل شاب عمره اثنان وعشرون عاماً امرأتين تعملان في عيادتين للاجهاض في بوسطن في بداية عام ١٩٩٥ وسبّب جرح العديد ممن كانوا في العيادتين حين هاجمهم بسلاحه الناري مما رفع عدد قتلى عيادات الاجهاض الى ستة، طبيبين وأربعة مساعدين، خلال ١٨ شهراً. ان ذريعة المطالبات "بحرية" الاجهاض لمن تشاء هو أن للمرأة حق حرية التصرف في "جسمها"، وكأن الجنين هو شعرها أو أظافرها

فلها الحق في التخلص منه متى تشاء، وليس روحاً تكونت بإذن خالقها ولم يعد لها حق التحكم بها الا بما فيه صالح الجنين كأمانة عُهدت اليها.

ومن الغريب ان الحركات النسوية في امريكا تدافع هذه الايام عن قضية امرأة عمرها تسعة عشر عاماً وام لطفل، اطلقت النار على بطنها في العام الماضي عندما كانت حاملاً في شهرها السادس ، وتمكن الاطباء من اخراج الجنين حياً بعملية قيصرية ولم تؤثر الرصاصة الا على رسغه ولكنه توفي بعد اسبوعين بسبب عجز في الكلية. وحيرة القضاء الامريكي الان هي هل تتهم هذه المرأة بجريمة قتل أم جريمة اجهاض غير مرخّص. وحجة المحامية التي كلفتها الحركة النسوية للدفاع عنها هي ان المرأة اطلقت النار على "نفسها" لان الجنين هو جزء منها! ولا يجوز الاستناد الى تاريخ هذه المرأة المعروف باهمالها لطفلها الاول، الذي انجبته وهي في سن جد مبكرة، للتأكيد على نيتها في قتل الجنين! ومن الغريب ان هذه الحركات تشجع في الوقت نفسه حق المرأة في "تأجير" رحمها لكي ينمو فيه جنين تبيعه بعد الولادة الى والده الذي تعجز زوجته الشرعية عن الحمل (Lewis 1992).

من جهة اخرى تدعو المنظمات الدولية الى السماح بالاجهاض كوسيلة لتحديد النسل في الدول الفقيرة وعالية الكثافة السكانية. حيث تعد قضية زيادة السكان في العالم احدى اهم مشاكل العالم المستعصية مع مشكلتي نفاذ مصادر الطاقة وقضية التلوث البيئي. وتعتبر النساء في العالم الثالث العامل المؤثر في حل هذه المشكلة لان معدل النمو السكاني في الدول المتطورة ثابت بعكس الارتفاع السريع لسكان العالم الثالث. وسبّب هذا الموضوع جدلاً ونقاشاً عالمياً أثناء انعقاد المؤتمر الثالث للامم المتحدة حول السكان والتنمية الذي عقد في القاهرة في أيلول (سبتمبر) ,١٩٩٤ لقد عُقد المؤتمر الاول في بوخارست عام ١٩٧٤ والثاني في المكسيك عام ,١٩٨٤ واختلفت مقررات المؤتمر الاول الذي عبر عن اهمية الفرد لمستقبل العالم عن مقررات المؤتمر الثالث الذي عبر عن القلق الشديد من النمو السكاني السريع في الدول النامية، حيث اصبح تعداد العالم ٥,٦ بليون نسمة في عام ١٩٩٤ بعد ان كان ١,٧ بليون عام ١٩٠٠ (O'Connell 1994)، أي تضاعف اكثر من ثلاث مرات خلال اقل من قرن.

يعلم الجميع جيداً أن سبب المجاعات والفقر في العالم لا يعود الى كثرة النسل وانما يعود الى سيطرة شركات الاحتكار العالمي وسوء توزيع الثروات والاستغلال بأشكاله المتعددة. حيث ان ٢٠٪ من سكان العالم، والذين يمثلون أغنياءه، يسيطرون على ٨٢,٧٪من دخل العالم،

ويليهم ٢٠٪ يسيطرون على ١١,٧٪ وهكذا كما في جدول (٣-٥) (O'Connell 1994) ليتبقى أقل من القليل للافقر. ومن المضحك المبكي أن أحد البريطانيين اقترح ان يتم تحديد النسل في بريطانيا أيضاً، لأن الخمسين مليوناً من سكانها، يستهلكون ما يعادل استهلاك ٥٠٠ مليونٍ من سكان العالم الفقير، أي يستهلك كل منهم ما معدله عشرة أضعاف مايستهلكه الفرد في العالم الفقير. أن فلسفة البحث المستمر عن مصادر جديدة للطاقة، لمواجهة ازمة نفاذ المواد الاولية لمصادر الطاقة المستخدمة حالياً، تهدف بصورة رئيسة الى ضمان استمرار رفاهية العالم الغني، أما الدول الفقيرة فعليها تقليل نسلها لمواجهة الازمة!

وفيما يلي الجدول (٣-٥): والذي يبين توزيع الدخل العالمي على سكان العالم (O'Connell 1994).

سكان العالم	النسبة المئوية من الدخل العالمي
الاول أو الأغنى (٢٠٪)	٨٢,٧
الثاني (٢٠٪)	١١,٧
الثالث (٢٠٪)	٢,٣
الرابع (٢٠)	١,٩
الخامس أو الافقر (٢٠٪)	١,٤

إن حكم الاسلام في قضية الإجهاض واضحٌ، إذ سمح به حين يصبح مهدداً لحياة الأم وليس لسبب آخر كالحالة المادية. ولم يمنع الإسلام إستخدام طرق منع الحمل، كما تفعل الكنيسة الكاثوليكية. وقد وردت في القرآن العظيم آيات كريمة تحرم قتل الاولاد خشية الفقر والاملاق: ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم**﴾ (الانعام: ١٥١) و ﴿ **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**﴾ (الاسراء : ٣٣). كما يشير القرآن العظيم الى أن ما يقترفه البشر بأيديهم من تخريب وتلوث للأرض وثمرها ومواردها هو السبب الاساس في المشاكل التي يمكن تجاوزها بالرجوع عما يقترفون: ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**﴾ (الروم: ٤١).

٣-٥ « ألاسرة» الجديدة

تشير آبوردين ونيزبيت بصراحة تامة (Aburdene & Nausbitt 1993) إلى أنه مما لاشك فيه ان مسيرة المرأة إلى العمل دمر وحدة الاسرة وان اي تدمير في العائلة يقع تأثيره بصورة اساسية على الاطفال الذين يحرمون من أشد ما يحتاجونه وهو الرعاية والحب، والشعور بالامان، والقيم، والانموذج القيادي. والحلان المقترحان من الطرفين المتناقضين، أو مايسمى أقصى اليمين وأقصى اليسار، هو إما عودة الام إلى البيت، أو البيتيون كما يسميهم مصطفى سليمان (سليمان ١٩٩٤)، وترك العمل، أو عمل المرأة وتكفل الدولة كلياً برعاية الطفل. وتشير آبوردين ونيزبيت الى ان النسبة المئوية للاسرة التقليدية، أي التي يعمل الأب فيها بينما تبقى الأم في البيت لرعاية الاطفال، أصبحت تمثل ١٠٪ من العوائل في امريكا و١١٪ في بريطانيا. وهبطت النسبة المئوية للاسر الامريكية التي تتكون من زوجين وأطفال من ٤٠٪ لعام ١٩٧٠ الى ٢٦٪ لعام , ١٩٩٠ كما هبط معدل عدد أفراد العائلة التقليدية في أمريكا من ٣,٥ في عام ١٩٥٠ الى ٢,٦ في عام ١٩٩٠ .كذلك تؤكد سوزان هارتمان الى أن اتجاه المرأة نحو العمل رفع من مستواها الثقافي وقلل معدل الولادات، الا انه في الوقت نفسه رفع نسبة الطلاق وبدأت معه ظاهرة الامومة المنفردة(Hartmann 1989). كما ازدادت نسبة الذين يعيشون حياة زوجية دون رابطة قانونية، ففي بريطانيا ازدادت نسبة النساء اللاتي يعشن مع رجل دون رابطة رسمية من ٨٪ عام ١٩٨١ الى ٢٠٪ عام ١٩٨٨ (Aburdene & Naisbitt 1993). فهل الشكل الحالي يمكن ان يطلق عليه مصطلح الاسرة؟ وما هي سمات "الاسرة" الجديدة في العالم؟

أولاً : الأمومة ومعدل الإنجاب

تعد زيادة معدل الإنجاب للمرأة المسلمة عن معدله للمرأة غير المسلمة احدى السمات الواضحة في الاحصائيات العالمية، فمعدل الانجاب في الجمهوريات غير الإسلامية في الاتحاد السوفييتي (سابقاً) هو ٢,٤٪ بينما معدله في الجمهوريات الاسلامية فهو ٥٪ حسب احصاء ١٩٧٨-١٩٧٩(Ryan & Prentice 1987). أما في اوروبا فقد هبط المعدل بين سنة ١٩٧٠

وسنة ١٩٩٢ في كافة الدول. وكانت اعلى نسبة هبوط في اسبانيا حيث هبط من ٢,٩ الى ١,٢٣ أي انخفض المعدل بنسبة ٦٠٪ .وأقلهـا في ايرلندة وذلك من ٣,٩٣ الى ٢,١١، أي بنسبة تقرب من ٥٠٪ .وهبط معدل الولادات في دول الاتحاد الاوربي من ٢,٤ الى ١,٤٨ أي بنسبة ٤٠٪ (Central Statistical Office 1994). اما معدل الولادات للمرأة الواحدة في اثنتي عشرة دولة اسلامية فهو ٦,٦٪ أعلاها في سوريا ٧,٥ ٪ وأدناها في تركيا ٢,٥٪ (Jabra & Jabra 1992). أما معدل الانجاب في العالم للمرأة فهو ٣,٤٨٪ وفي الدول العربية ٦٪مجلة العربي فبراير ١٩٩٥).

أن زيادة معدل الانجاب للمرأة المسلمة عن غيرها من نساء العالم يشير إلى أن أحد أهم أهداف تكوين الأسرة هو الانجاب، وتحمل هذه المشقة من قبل المرأة والرجل سوية يسهم في تكوين المجتمع الصحي. اما في الغرب فقد اصبح يعد هذا قيداً مادياً ومعنوياً. وتعد الامومة طوعية وليست اجبارية حتى ان للمرأة حق تأجير رحمها لينمو فيه جنين لغيرها (Lewis 1992). لقد كان احد اهم شعارات حركة تحرير المرأة، اضافة الى معاداتها الواضحة للعائلة والرجل، هو معاداتها لفكرة ان المرأة هي ام بالطبيعة وتعتمد على الزوج في حياتها، وان محيط المرأة الطبيعي هو العائلة. وترى جين لويس بان هذا الشعار يتناقض مع تفاخر الحركة النسوية بحصولها على حق المرأة في حضانة طفلها في عام ١٩٢٥ في بريطانيا، بعد ان كانت محرومة منه، لان هذا الحق يناقض اعتراض الحركة على كون المرأة أماً بالطبيعة. كما تشير لويس الى تناقض آخر هو ان استبيانات المجلات النسوية تشير الى ان غالبية النساء يعتبرن الزواج والامومة هما اهم من اي امر آخر، الا ان ٧١٪ من حالات طلبات الطلاق لعام ١٩٨٤ هي من النساء(Lewis 1992).

وبالرغم من كافة الادعاءات فان الامومة تبقى الشاغل الرئيس للمرأة. تشير الاحصائيات في امريكا الى انه في عام ١٩٩٠ كان هناك ٧,٣ مليون طفل يعيش مع عائلة تبنته. وكان هذا العدد قد ارتفع من ٦ ملايين في احصاء عام ١٩٨٠، أي بزيادة تقارب ٢٠٪ (Aburdene & Naisbitt 1993). ويبدو ان عمل المرأة وسعيها للتقدم في مواقع العمل يدفعها الى استخدام وسائل منع الحمل في سن العشرين وعندما تتجاوز الثلاثين تنخفض احتمالية الحمل فتسعى الى معالجة العقم لعدة سنوات قبل أن تلجأ أخيراً الى التبني. وكثيراً ما تحصل مشاكل بعد

التبني بسنين حين يعود الاب او الام الحقيقي، او مايسموه بـ "الاب البايولوجي"، للمطالبة بالطفل من ابويه المتبنين، لتبدأ بعد ذلك سلسلة المرافعات القانونية في المحاكم. وأحياناً يدعي الاب ان الام لم تبلغه بالتخلي عن الطفل او ان اوراق التخلي تخلو من موافقته وغير ذلك من الاسباب التي يقف القانون عاجزاً أمامها ولا مفر إلا بإعادة الطفل الى الاب "البايولوجي" مسبباً آلاما نفسية كبيرة للطفل الذي يكون قد تربى ونشأ في رعاية عائلة اخرى وهو في كثير من الاحيان لايعرف شيئاً عن أصله. كما ان هذه المسألة تسبب آلاماً كثيرة للعائلة التي يجبرها القانون على التخلي الاجباري عن طفلها المتبنى. أمام مثل هذه المشاكل وآلام يتضح جانب آخر من عدالة التشريع الالهي الذي ينص على: ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾ (الاحزاب: ٥)، محدداً التبني بعدم تغيير الاسماء لما يمكن أن يؤدي ذلك الى تعقيدات ومشاكل.

ثانيا: الفردية وعائلة الوالد المنفرد

تسجل بريطانيا أعلى نسبة لما يسمى بعائلة الوالد المنفرد single parent family في الدول الاوربية كما ورد في صحيفة التايمس الصادرة في ٢٧ سبتمبر (ايلول) ١٩٩١، حيث ارتفعت النسبة من حوالي ٨،٣٪ في اوائل السبعينات الى ضعفها (١٦،٧٪) في التسعينات. وتكون النساء ٩٠٪ من هذه العوائل وتشابه بذلك الارقام في استراليا (Aburdene & Naisbitt 1993). وتشير جين لويس الى ان الاتجاهات الاجتماعية الثلاثة بعد الحرب العالمية الثانية كانت: ١، زيادة عدد العاملات من المتزوجات؛ ٢، الارتفاع الدرامي لنسبة الطلاق خلال السبعينيات والثمانينيات؛ ٣، الارتفاع المذهل في عدد الولادات غير الشرعية. لقد اسهم الاتجاهان الاخيران في تكوين عائلة الوالد المنفرد. ان مناقشة هذه الحالة في المؤسسات الحكومية المختصة تدور حول محورين الاول هو الكلفة المادية لهذه العوائل بسبب اعتمادهم المادي كلياً على الدولة، والثاني هو المسألة الاخلاقية وتغير الاتجاهات الاجتماعية، مثل تقبل الحالة كشئ طبيعي، دون الخوف من المشاكل المستقبلية على الناشئين في مثل هذا المحيط (Lewis 1992).

يقترح البعض لعلاج هذه الحالة منع من تقل أعمارهم عن ستة عشر عاماً، – وهو العمر الذي يسمح به القانون في بريطانيا – بحرية العلاقات، من ممارسة العلاقات غير الشرعية، بدلاً من اسداء النصائح ومحاولة حل المشاكل الناتجة منها. ومن الامور التي يُدّعى انها تمنع الاستمرار في مناقشة هذا الموضوع هو التحرج من التمادي في التدخل في الحياة الشخصية للفرد وصعوبة تحديد الخط الفاصل، مع أن الدولة لا تتوانى عن اصدار القوانين المتعددة لحماية الفرد مثل استخدام احزمة الامان في السيارات ولبس القبعات الواقية لسائقي الدراجات بكافة انواعها، والذي في كل منها شكل من أشكال الحد من حرية الفرد. كما أن القوانين السارية تشجع بصورة غير مباشرة على ما يحدث، ففي امريكا لا تستحق الفتيات مساعدة الدولة في سكن مستقل عن عائلتها إذا كان عمرها يقل عن ست عشرة سنة، ولكنها اذا كانت اماً أو حاملاً بعمر يقل عن ستة عشر عاماً فإن الدولة توفر لها سكناً خاصاً بها، حيث تعتبر حينئذ "موظفة" للعناية بالطفل، وتُتابع بصورة روتينية من قبل موظفي الرعاية الاجتماعية للتأكد من قيامها بالعناية بالطفل وعدم الاستئثار بالمساعدة المالية لنفسها وحرمان الطفل من متطلباته الضرورية.

كذلك تفاقمت نسب الافراد الذين يعيشون بصورة منفردة في بريطانيا الى حوالي الضعف، حيث ارتفعت من ١٤٪ عام ١٩٦١ الى ٢٧٪ لعام ,١٩٩١ كما ازدادت نسبة البيوت التي يسكنها فردان من ٣٠٪ عام ١٩٦١ الى ٣٤٪ عام ١٩٩١ أي بزيادة ضئيلة مقدارها ١٣٪. اماالبيوت التي يعيش فيها ثلاثة أفراد فقد انخفضت نسبتها من ٢٣٪ الى ١٦٪ للفترة نفسها أي حوالي ٣٠٪ (Central Statistical Office 1994).

ثالثا: العنف في العائلة

من الظواهر السلبية التي ازدادت نسب حدوثها هي استعمال العنف في العائلة وكثرة الاعتداءات خصوصاً على النساء والاطفال من أحد أفراد العائلة. ففي أمريكا تشير أرقام سنة ١٩٨٤ إلى أن ٢٩٢٨ حادثة قتل تمت على ايدي احد أفراد العائلة، وثُلث عدد القتيلات في ذلك العام كان على يد الزوج او الشريك. كما تذكر آبوردين ونيزبيت أن أكثر من مليوني إمرأة سنوياً تبلغ الشرطة عن حادث اعتداء زوجها أو شريكها عليها، فيما لا يُعرف عدد

الحوادث غير المُبَلَّغ عنها. وتُقتل يومياً أربع نساء بسبب الضرب المبرح في البيت في أمريكا (Aburdene & Naisbitt 1993)، كما يعزى ٥٩٪ من حوادث الطلاق في النمسا لعام ١٩٨٥ الى استخدام العنف في البيت. تشير بارنيت ولافيوليت الى ان مشاكل العنف في البيت تؤدي ٨٦٪ منها الى تعرض المرأة للاذى و٦٪ الى تعرض الرجل و٨٪ الى تعرض كليهما. ويقدر بان ما بين ٢ الى ٤ مليون امرأة تتعرض للاعتداء سنوياً في امريكا (مقارنة مع نصف مليون حادث سيارة سنوياً) ويعود سبب الاعتداء في ٧٥٪ من هذه الحالات الى طلب المرأة الطلاق او الافتراق. وان ١,٥ مليون زيارة للطبيب سببها اعتداء الزوج ويخمن أن ٩١٪ من الاعتداءات لا تبلغ الى الشرطة (Barnett & La Violette 1993).

أما في بريطانيا فان اكثر من ٥٠٪ من القتيلات كن ضحايا الزوج او الشريك، وارتفع العنف في البيت بنسبة ٤٦٪ خلال عام واحد الى نهاية اذار ١٩٩٢(Aburdene & Naisbitt 1993)، كما وجد بأن ٢٥٪ من النساء يتعرضن للضرب من قبل ازواجهن او شركائهن. تتلقى الشرطة البريطانية ١٠٠ ألف مكالمة سنوياً لتبليغ شكوى اعتداء على زوجات او شريكات، علماً بان الكثير منهن لا يبلغن الشرطة الا بعد تكرر الاعتداء عليهن لعشرات المرات. وتشير جين لويس الى ان ما بين ثلث الى ثلثي حالات الطلاق تُعزى إلى العنف في البيت وبصورة رئيسة الى تعاطي المسكرات وهبوط المستوى الاخلاقي. تسعى الكثير من المنظمات النسوية، - والتي كان لها السبق في التنبيه الى مشاكل العنف العائلي- لايجاد حلول ثانوية للمشكلة، مثل توفير المزيد من الملاجئ والمساعدات المادية والمعنوية للضحايا، وتشديد العقوبة على مرتكبي هذه الحوادث، وتدريب النساء على مواجهة العنف بالعنف، والحث على اصدار القوانين لحماية حقوق المرأة الهاربة من اعتداء الزوج في حضانة اطفالها واستحصال التعويضات المالية، والقاء القبض على المعتدي مباشرة دون الحصول على الموافقات المعتادة في الحالات الاعتيادية (Aburdene & Naisbitt 1993; Hartmann 1989). إلا أن الحل الجذري يكمن في تقويم التركيب الاساسي للعائلة والمبادئ التي تبنى عليها.

لا تقل مشاكل المرأة في الدول الفقيرة عن تلك التي في الدول الغنية، فقد ازدادت حوادث قتل الزوجات الشابات في الهند بسبب المهر من ٩٩٩ عام ١٩٨٥ الى ١٣١٩ عام ١٩٨٦ والى ١٧٨٦ عام ١٩٨٧(United Nations 1991). حيث تدفع الزوجة المهر للزوج حسب التقاليد

الهندية وتُبتز وتُطالب بالمزيد من المال أو الهدايا بعد الزواج؛ فإن فشلت في توفير ذلك تُقتل او يصب عليها البترول وتحرق ويدعي الزوج انها انتحرت. ومن الغريب ان ام الزوج تلعب عادة دوراً اساسياً في هذه المأساة ان لم تكن المنفذ الفعلي للجريمة، أي ان القضية لا يمكن ان تعد فعلا قضية فمنزم مادامت المرأة فيها هي الضحية وهي المجرم أو المحفز على الجريمة في آن واحد. ما دام العرف الاجتماعي قائم على قوانين بشرية فلا مفر من المشاكل المستجدة بين الحين والاخر.

رابعا: المسنون

يمثل إنشاء بيوت المسنين، التي تؤوي المسنين الذين لا يستطيعون العناية بأنفسهم ويرفض ابناؤهم أو أقاربهم تحمل مسؤولية رعايتهم، احد مظاهر تحلل روابط الاسرة. الا ان الغرب يعتبر هذه البيوت احد مظاهر الحضارة الحديثة، وهي توصف كذلك عادة من قبل من لم يعش بعد في تلك البيوت، وليس بمستغرب ان يغير رأيه عندما يحكم عليه قدره ان يعيش السنوات العديدة الاخيرة من عمره فيها، كسجين ينتظر التغذية والمساعدة من موظفين لا يمتون له بأية قرابة ويؤدون عملهم بنمط يفتقد الى ابسط شروط الانسانية. من الغريب أن الاحصائيات الخاصة بهذه الشريحة من الناس تُلحق عادة بالفصول الخاصة بالصحة وليس بفصل العائلة، حيث يصنف كبار السن مع المعوقين والمرضى العقليين والبطيئين في الدراسة. فتشير الارقام مثلا الى أن كبار السن في بريطانيا يمثلون نسبة ٧٧,٧٪ من هذه الفئات كافة (Central Statistical Office 1994)، وهم في الوقت نفسه يمثلون حوالي ٢١٪ من مجموع السكان (Aburdene & Naisbitt 1993). ولقد ازداد عدد المسنين الذين تجاوزت أعمارهم الخامسة والسبعين سنة بنسبة ٢٠٪ في بريطانيا بين ١٩٧١ و١٩٨١ ويتوقع زيادة مستمرة اخرى تصل الى ٣٠٪ في سنة ٢٠٠١ حيث سيتضاعف عدد المتجاوزين لعمر ٨٥ سنة (Lewis 1992).

كما تصنف فئة المسنين حسب نوع الرعاية التي تحظى بها ان كانت حكومية أم خاصة، والاخيرة تشمل الرعاية الخاصة مع الاهل وبيوت المسنين الاهلية الخاصة بالاثرياء ولذلك لا يمكن التمييز بينهما. فالنسبة المئوية لكبار السن في البيوت الحكومية هي ٨٨,٥٪ لعام ١٩٩٢

وقد ازدادت عن نسبة عام ١٩٨٢ التي كانت ٨٦,٣٪ .في حين هبطت كافة النسب للفئات الاخرى، من المعوقين والمتخلفين عقلياً، للفترة نفسها. أي أن ما لا يقل عن ٩٠٪ من المسنين يقضون سني حياتهم الاخيرة التي قد تتجاوز العشر سنوات بعيداً عن الجو العائلي. إن من الطبيعي ان زيادة معدل عمر الفرد في الدول المتقدمة يسهم في زيادة نسبة المسنين. وترتفع نسبة النساء اللاتي تزيد أعمارهن على الستين عاماً الى ٢٥٪ في السويد وتهبط الى ١٩٪ في اليابان وامريكا (Central Statistical Office 1994). اما في امريكا فهناك خمسة ملايين شخص بعمر يتجاوز الخامسة والستين (Aburdene & Naisbitt 1993). وفي النرويج لا تجد ثلث النساء اللاتي تتراوح اعمارهن بين ٦٧ و٧٤ سنة احداً يساعدهن او يرعاهن. أما أرقام الامم المتحدة فتشير الى ان معدل عمر المرأة في الدول المتقدمة هو ٧٧,٧ سنة أعلاها في اليابان (٨١,١ سنة) وأدناها في رومانيا (٧٣ سنة).

خامسا: الاسرة في العالم الاسلامي

لا تزال الاسرة في العالم الاسلامي تحمل صفاتها الاساسية بالرغم من تهجين المجتمعات الاسلامية بالافكار الغربية او الشيوعية بواسطة ممثلي هذه الافكار من ابناء المجتمع نفسه أو غيرهم. فلا يزال الزواج حجر اساس تكوين الاسرة، ويبقى الوالدان ضمن محيط الاسرة عندما يكبران وبخاصة أن التشريع الالهي امر برعاية الوالدين عندما يبلغان الكبر ونهي حتى عن قول اف لهما أو نهرهما كما ورد في الاية الكريمة **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما﴾ ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾** (الاسراء: ٢٣و٢٤) .

تُعد رعاية الوالدين المسنين في الاسلام من الواجبات الدينية التي تسبق أهمية الإسهام في الجهاد الحربي. فقد سأل عبد الله بن مسعود الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم: أي العمل أحب الى الله، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: الصلاة على وقتها، قال ابن مسعود: ثم أي؟ قال صلى الله تعالى عليه وسلم: بر الوالدين، قال: ثم أي؟ قال صلى الله تعالى عليه وسلم: الجهاد في سبيل الله (الخولي ١٩٥٣). وحتى الآباء المشركين يجب مصاحبتهما بالمعروف قال تعالى : **﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما**

في الدنيا معروفا﴾ (لقمان: ١٥). لقد اعترفت المراجع الغربية مرغمة بأن كبار السن يتمتعون بالرعاية في المجتمعات الاسلامية (O'Connell 1994)، وتشير ارقام الامم المتحدة الى ان معدل عمر المرأة في ٢٥ دولة اسلامية هو ٦٢ سنة اعلاها في الكويت (٧٥ سنة) وأدناها في أفغانستان (٤٢ سنة).

وتشير دراسة موزة غباش (غباش ١٩٩٤) إلى أن الاسرة العربية تعاني من المشاكل الناتجة من التحديث الذي تمر به منذ ثلاثة عقود ماضية. حيث تقسم المراحل التي مرت بها الاسرة العربية الى مرحلة ماقبل الاستقلال وما بعده ثم مراحل النمو والتنمية منذ الاربعينيات وحتى اليوم وتضيف: "ولا نزال ندور في فلك المشكلات الناجمة عن فشل مشروعنا التنموي". ونتساءل عن مدى استعداد الاسرة العربية لاستقبال مرحلة "ما بعد الحداثة" والتي دخل الغرب اولى مراحلها. لقد ادى التحديث الى زيادة المشكلات الاجتماعية مثل التفكك الاسري وانتشار الجريمة وغيرها فالحداثة حسب رأيها كانت عنصر تخريب وتفكيك. ومع أنه لا مفر منه إلا أن حدوثه لايزال أقل بكثير مما يحصل في الغرب، وكذلك الوعي له والانتباه إليه ومن ثم ايجاد الحلول الجذرية له، وليس الفرعية كما يفعل الغرب، وفي ذلك ما يوفر الكثير من الجهد الذي لابد من بذله في المستقبل لحل مشاكل اكثر ضخامة.

الفصل الرابع

المجتمع المعاصر



المجتمع المعاصر

٤-١ عمل المرأة

تعزى اسباب اتجاه المرأة للعمل خارج البيت الى ثلاثة عوامل هي: العامل الاقتصادي، أي الحاجة المادية أو التحرر من التبعية المادية للرجل، والعامل الاجتماعي، لبناء علاقات اجتماعية مختلفة عن تلك التي في محيط العائلة، والعامل النفسي، للحصول على ارضاء للذات من خلال اداء نوع العمل الذي تميل اليه. وعندما يقارن العمل خارج البيت مع ذلك الذي داخل البيت فلا مفر من الاعتراف بأن الكثير من الاعمال التي تقوم بها المرأة خارج البيت لا تخلو من الروتين والملل الذي يوصف به عادة العمل في البيت من تنظيف واعداد الطعام. كما ان رئيس العمل قد يكون مُتعباً بأوامره ومطالبه مما لا يمكن مقارنته مع ماتشكو منه المرأة من تسلط الزوج وكثرة مطالبه، أضافة الى عدم المساواة في الاجر والموقع مع الرجل. فاذا كانت المرأة غير مرتاحة في العمل خارج البيت انعكس ذلك على العائلة وأدى الى زيادة المشاكل داخل البيت، اضافة الى تضاعف مقدار العمل الذي يجب على المرأة ان تقوم به داخل البيت وخارجه.

يُملي العامل النفسي على المرأة نوع العمل الذي تختاره، وبالضرورة سيملي عليها اختيار نوع الدراسة قبل ذلك. وتوفر الاحصائيات المؤشر الحقيقي للاتجاهات والميول عند المرأة، حيث ترتفع نسبة العاملات في مهن التعليم والتمريض والوظائف الكتابية او

السكرتارية. إضافة الى ما سبق ذكره من قلة نسبة النساء في مجال البحوث العلمية والهندسية، يبين الجدول (٤-١) (النسبة المئوية الضئيلة للنساء في مجال المقاعد الوزارية او المناصب العليا في المحاكم وغيرها في أربع دول اوروبية (Chamberlayne 1993). حيث تتميز فرنسا بنسبة عالية في المناصب الوزارية والسلطة القضائية.

وفيما يلي الجدول (٤-١): والذي يبين النسبة المئوية للنساء العاملات في المناصب العليا في الحكومة والمحاكم وغيرها في اربع دول اوروبية (Chamberlayne 1993).

الدولة	المناصب الوزارية	السلطة التشريعية	السلطة القضائية	الوظائف المدنية العليا
المملكة المتحدة	٤,٥	٣,٥	٤,١	٤,٥
فرنسا	١٤	٥,٩	١٢	٥,٤
ايطاليا	٣,٣	٧,٩	٨,٧	٥,٨
المانيا الغربية	٥,٩	٩,٣	٥	٥

وفيما يلي متابعة للعامل الاقتصادي، وهو اهم العوامل، لنجد ماحققته المرأة في الغرب من انجازات فيه.

أولاً: العامل الاقتصادي

إن مصادر دخل المرأة في القرن العشرين هي الرجل، أي الزوج، أوالعمل خارج البيت أوالدولة، أي الضمان الاجتماعي. لقد اعترضت الحركات النسوية على عمل المرأة في بيتها باعتباره عملاً دون اجر، لذلك تعتبر هذه الحركات بأن المرأة اكتسبت الحرية الاقتصادية عندما اعتمدت على الدولة كمصدر للدخل من الضمان الاجتماعي (Lewis 1992). وارتبطت ظاهرة خروج المرأة للعمل مع التغيرات الاقتصادية في مختلف دول العالم، ففي الاتحاد السوفييتي (سابقا) كانت نسبة النساء العاملات هي ٤٩٪ من المجموع الكلي للعاملين، أما في السويد فتهبط النسبة الى ٢٧٪(فريد ١٩٨٠). وتشير الاحصائيات التي توردها جين لويس في كتابها الى الارتفاع السريع لعدد العاملات في بريطانيا بصورة عامة خلال حوالي نصف قرن، حيث ارتفعت النسبة من ٢٩٪ في عام ١٩٣١ الى ٤٥٪ عام ١٩٨٧ من المجموع الكلي للعاملين، كما

في الجدول (٤-٢). كما يتضح العامل الاقتصادي من ملاحظة النسبة المرتفعة للمتزوجات العاملات لتوفير مصدر مالي ثانٍ للاسرة مع وجود الاطفال. فقد تضاعفت نسبة العاملات المتزوجات من المجموع الكلي للمتزوجات ما بين عام ١٩٦١، حيث كانت النسبة ٣٥٪، وعام ١٩٨١، حيث ارتفعت النسبة الى ٦٢٪. وهي اسرع زيادة بين باقي الزيادات في الجدول. لقد وضع بعض أرباب العمل في البداية شرطاً للنساء العاملات في بعض المجالات إما عدم الزواج وإما الاستقالة، الا ان شحة الايدي العاملة الرجالية خلال الحرب العالمية الثانية أدت الى رفع ذلك الشرط عن النساء العاملات.

وفيما يلي **الجدول** (٤-٢): الذي يبين النسب المئوية للنساء العاملات في بريطانيا خلال حوالي نصف قرن (Lewis 1992)

النسب المئوية	١٩٣١	١٩٥١	١٩٦١	١٩٧	١٩٨١	١٩٨٧
من مجموع العاملين الكلي	٢٩	٣١	٣٣	٣٧	٤٠	٤٥
من مجموع النساء بعمر ما بين ٢٠-٦٤سنة		٣٦	٤٢	٥٢	٦١	
للعاملات بوقت جزئي من مجموع العاملين		١٢	٢٦	٣٥	٤٢	
للمتزوجات العاملات من مجموع المتزوجات		٢٦	٣٥	٤٩	٦٢	

في أمريكا صدر قرار مساواة الاجر بين الرجل والمرأة عام ١٩٦٣ وتبعه عام ١٩٦٤ قانون المساواة في التعيين والترقية، وتلاه عام ١٩٧٢ تعديل ليشمل قطاعات اخرى مثل التعليم. من الغريب ان النساء كن يدفعن للتخصصات التقاعدية أكثر مما يدفع الرجال على اساس انهن يعشن اكثر من الرجال، وتم اصدار قرار من المحكمة في عام ١٩٧٨ يلغي هذا الفرق على اعتبار ان التعامل مع النساء بشأن الإقتطاعات التقاعدية يجب ان يكون فردياً لا جماعياً (Hartmann 1989). إن زيادة عدد العاملات لم يرفع الحيف الاقتصادي عنهن، حيث لاتزال الاجور الممنوحة للمرأة تقل عن تلك لنظيرها من الرجال. فقد ذكرت مارغريت هولُواي بأن ٢٥٪ من النساء في أمريكا لايزلن يتقاضين اجورا تقل عما يتقاضاه الرجال في الموقع نفسه وبالمؤهلات نفسها، كما ان احتمال عدم الحصول على العمل بالنسبة للنساء هو ضعف ذلك للرجال، فبالرغم من تشريع الكثير من القوانين للمساواة فان التطبيق الصارم لها لم يجد له مكاناً بعد (Holloway 1993).

اما في بريطانيا فإن معدل اجور المرأة يقل بنسبة ٣٨٪ عن معدل اجور الرجل في عام ١٩٧٢، وبعد صدور قانون مساواة الاجر عام ١٩٧٥ الذي لم يباشر بتطبيقه إلا عام ١٩٨٠، هبط الفرق الى ٣٠٪ ، ولايزال الفرق في الاجر والموقع مؤشراً الى الهوة الواضحة بين النظرية والتطبيق حتى يومنا هذا (Lewis 1992). وقد أوضحت الارقام المقارنة بين بعض دول اوروبا ان الاجور الشهرية للنساء العاملات في الصناعة، من غير الاعمال اليدوية، خلال عام ١٩٩١ هي ٥٥٪ من تلك التي للرجال في لوكسمبورغ و٥٨٪ في بريطانيا ٦٧٪ في فرنسا (Berrington 1995).

ثانياً: المرأة المسلمة والعمل

بدأ دخول المرأة المسلمة الى ميدان العمل في مصر بعد تأسيس الدولة الحديثة في عهد محمد علي وانشاء مدرسة المرضات عام ١٨٣٠ (آدم ١٩٨٢). ومن أمثلة عمل النساء في العالم الاسلامي نجد أن احصائيات عام ١٩٧٦ لنسبة المسهمات في العمل في العراق هي كما هو واضح في الجدول (٤-٣) (Rassam 1992, Dearden 1983).

وفيما يلي الجدول (٤-٣): والذي يبين النسبة المئوية للنساء العاملات في العراق في المجالات المختلفة (Dearden 1983; * Rassam 1992).

المهنة	النسبة المئوية
التعليم *	٣٨,٥
الطب والصيدلة	٣٠
تدريس جامعي	٣٣
موظفة حكومية	٣٣
الصناعة	٢٦
الحقول الزراعية	٤٥

وتورد نانسي جبرا وجوزيف جبرا في الجدول (٤-٤) النسبة المئوية للنساء العاملات في العالم الاسلامي (Jabra & Jabra 1992).

وفيما يلي الجدول (٤-٤): والذي يبين النسبة المئوية للنساء العاملات في بعض الدول الاسلامية (Jabra & Jabra 1992).

الدولة	السنة	النسبة المئوية
تركيا	١٩٨٠	٣٦,٨
العراق	١٩٧٧	١٧,٤
لبنان	١٩٧٠	١٧,٢
المغرب	١٩٧١	١٥
ايران	١٩٧٦	١٤
اليمن	١٩٧٥	١٢,١
سوريا	١٩٧٠	١٠,٧
تونس	١٩٧٥	٨,٥
مصر	١٩٧٦	٧,٩
افغانستان	١٩٧٦	٧,٨
السعودية	١٩٧٤	٥,٦
الجزائر	١٩٧٥	٤,٣
الأردن	١٩٧٩	٣,٢

وفيما يلي الجدول (٤-٥): والذي يبين النسبة المئوية للنساء العاملات من المجموع الكلي للعاملين في بعض الدول (Baffoun 1982).

الدول	المتقدمة	النامية	غرب افريقيا	المغرب	تونس	الجزائر
السنة	١٩٦٦	١٩٦٦	١٩٦٦	١٩٧٦	١٩٧٥	١٩٧٧
النسبة المئوية	٢٦,٨	٢٢,٩	٣٨	٢٥	١٨,٥	٢,٦١

من الجدير بالذكر ان معظم هذه الاحصائيات تأخذ نسب العاملات من خلال الارقام الرسمية لتلك الدول والتي تنتج من احصاء العاملات في وظائف الدولة. ولا تدخل فيها نسب النساء العاملات في الارياف حيث تعمل معظم النساء في الحقول الزراعية او في الحياكة أو

ممارسة الصناعات المحلية الخاصة. ففي مصر ترتفع هذه النسبة الى ٤٨٪ بدلاً من ٧,٩٪ وفي العراق ٣٤٪ بدلاً من١٧,٤٪ (Dearden 1983). أما في المغرب فان النساء يقمن بثلاثة ارباع العمل في الحقول القريبة من المدينة الساحلية الجديدة، فالرجال عليهم البدء بالعمل،أي حراثة الحقل، والعمل في نهاية الموسم أي عند الحصاد (Davis 1992)، وهما المرحلتان اللتان تحتاجان الى الطاقة العضلية العالية. ان عمل المرأة المسلمة لم يتبعه تمييز في الاجر أو إتاحة الفرصة للعمل كما يحدث في الغرب.

ثالثاً: العمل أم البيت؟

تواجهنا زيادة عدد المتزوجات العاملات بالسؤال التقليدي الاتي :هل ادى العمل الى تردي حالة الاسرة ام ان تردي حالة الاسرة هو الذي دفع المراة الى الخروج للعمل؟ ان ما لا يُختلف عليه ان الزيادة السريعة في الغرب لعدد النساء العاملات، متزوجات أو غير متزوجات، صاحبه زيادة في عدد حالات الطلاق والاجهاض والولادات غير الشرعية وكما هو واضح من مقارنة الجداول ٣-١ و٣-٢ و٣-٣ .

لقد توفر الاستقلال الاقتصادي للمرأة في الغرب من خلال عملها خارج البيت، وأسهم ذلك بصورة لا تقبل الشك في اختلاف قيم العائلة واهميتها في حياة المرأة والمجتمع بصورة عامة. وهو ما اعترفت به آبوردين التي وصلت مبيعات كتبها الثلاثة الاولى مع نيزبت الى ١٤ مليون نسخة في جميع انحاء العالم. فاحتمالية طلاق المرأة العاملة اكثر من غيرها (Lewis 1992). لقد اجرت صحيفة الجارديان البريطانية استفتاءً بين ١١٠٠٠ امرأة، ثلثاهن من عمر يقل عن ٣٥ سنة، نُشرت نتائجه في العدد الصادر في ٧ اذار (مارس) ١٩٩١ وتبين منه ان ٦٨٪ من النساء يفضلن البيت على العمل. كما تشير أرقام عدد العاملات في امريكا، لاول مرة منذ عام ١٩٤٨، الى هبوط قليل يعزى بصورة اساسية الى الرغبة في توفير محيط افضل للعائلة، حيث نشرت هذه النتائج في مجلة يو إس أي توداي (أمريكا اليوم) في عدد ١٠ مايس (مايو) ١٩٩١ بعنوان (الكثيرات يخترن البقاء مع الاطفال في البيت) (Aburdene & Naisbitt 1993). وتشير لويس الى ان استبيان العمل في عام ١٩٤٣ للمرأة في بريطانيا يشير الى ان ٥٨٪ من النساء لا يؤمن بعمل المرأة بعد الزواج. إلا أنه في عام

١٩٦٥ كانت ٨٩٪ من النساء يحبذن عمل المتزوجة التي ليس لها اطفال و ٣٩٪ يوافقن على عمل الامهات. أما احصاء عام ١٩٨٠ فيشير الى ان ١١٪ من النساء يؤيدن بقاء الأم في البيت اذا كان اطفالها بعمر المدرسة، وترتفع النسبة الى ٦٠٪ للام التي لديها اطفال بعمر اصغر من عمر المدرسة (Lewis 1992). وتربط جين لويس بين ازدياد نسبة العاملات مع كل من تدني معدل الولادات للمرأة الواحدة، وازدياد معدلات الطلاق، وازدياد الولادات غير الشرعية (Lewis 1993).

أما في عالم المرأة المسلمة، ففي دراسة شاملة لصراع الدور لدى المرأة العاملة في مصر يصل الباحث الدكتور محمد سلامة آدم الى تقرير أن "المرأة العاملة بكل فئاتها: عالية التعليم أو متوسطة التعليم، صغيرة السن، أو كبيرة السن، تعاني من صراع الدور في أدائها لدور الزوجة أو لدور الام" حيث "تعاني من احساس عميق بضيق الوقت، الناتج عن الادوار المتعددة التي تقوم بها، سواء أدوار العمل (خارج البيت) أو أدوار الزوجة والام (داخل البيت) .. وكلما ازداد الشعور بضيق الوقت، ازداد معه الشعور بالضغوط النفسية.." وشعورها "بالعجز عن الوفاء بجميع التزاماتها" مما يؤدي الى معاناتها من "مشاعر الضيق والتوتر والصراع" (آدم ١٩٨٢ .(ولا مفر من تأثير ذلك على الاسرة من ناحيتي رعاية الاطفال والتكيف مع الزوج، فقد ثبت ان الاثار السلبية على الاطفال تزداد كلما طال وقت غياب الام خارج بيتها. كما تشير الاحصائيات الى ان عدد المشاجرات مع الزوج تتضاعف تقريباً عند المرأة العاملة الامريكية، فقد كانت النسبة المئوية من العدد الكلي للمجموعة تحت الدراسة للمشاجرات الزوجية مع الزوجات غير العاملات ٧,٦٪ في حين كانت ١٣,٦٪ مع الزوجات العاملات (آدم ١٩٨٢). وهذه نتيجة طبيعية لا تختلف فيها نساء الشرق عن نساء الغرب.

ومهما ارتقت المرأة في مستواها العلمي والثقافي ومهما كانت دوافعها النفسية أو الاقتصادية للخروج الى العمل، تبقى رغبة المشاركة في تكوين اسرة احدى اهم مكونات فطرتها الاصلية، كما يشير الاستبيان الذي اجري بين الفتيات في بعض الدول العربية (محيي ١٩٥٨). والنسبة الغالبة منهن ستفضل ترك عملها والمحافظة على اسرتها ان حدث ما يمنع جمع الامرين معاً، وتشترك في هذا نساء الشرق والغرب ولذلك اصبح التساؤل المشترك لاغلبية النساء في العالم يتمركز على التشكيك في امكانية النجاح في الجمع بين البيت والعمل (Hartmann 1989).

٤-٢ منجزات المرأة المعاصرة وتأثيرها على المجتمع

يمكن تلخيص المنجزات الحديثة للمرأة في الغرب، والتي لم تحصل عليها الا منذ مدة وجيزة نسبياً، بما يلي:

١- حق الانتخاب والتمثيل في البرلمان.

٢- حق دخول الجامعات والدراسات العليا والمشاركة في البحوث.

٣- حق الامتلاك وحرية التصرف فيما تملك.

٤- الحقوق العائلية: اختيار الزوج أو رفض الزواج، وإختيار الإنجاب إو عدمه وأختيار عدد الأطفال، حق الطلاق، حق الامتلاك للمتزوجة والتصرف بأموالها بصورة مستقلة عن الزوج.

٥- حق اختيار نوع العمل أو عدمه، والمساواة في الاجر حسب القانون، ولا يزال هذا الامر بعيداً عن التطبيق الكلي، فالتمييز بالاجر وفرص العمل لايزال مستمراً.

٦- حق المشاركة في المناصب العليا في الكنيسة المسيحية.

إن موقع النساء في المجتمع وما يمثلنه من شريحة هامة، لابد وإن يؤثر على سير المجتمع وتطوره، وإذا كان لرفاهية المجتمع إن تتحقق فلابد من توفير هذه الرفاهية إلى نصف هذا المجتمع. لقد أدت بعض المنجزات التي حصلت عليها المرأة في الغرب الى تغير النمط التقليدي للاسرة ومن ثم التأثير على النشء الجديد بصورة خاصة وعلى المجتمع بصورة عامة.

اولاً: جنوح الاحداث

أن ازدياد نسبة الجرائم، وخصوصاً في اوساط الاطفال والمراهقين، يشير الى شدة خطورة الموقف. فحادثة قتل الطفل جيمس بولجر الذي عمره ثلاث سنوات على ايدي طفلين عمرهما احدى عشرة سنة إهتزت لها بريطانيا في عام ١٩٩٣ ورّوعت الجميع بسبب وحشية القتل وبشاعة طريقته، وقد وُصفت أم أحد الطفلين القاتلين خلال المحاكمة، بأنها كانت لا مبالية بصورة غريبة! مما يؤكد على أن الرعاية في البيت هي أحد أهم أركان بناء الشخصية السوية

للطفل. كما تتوالي جرائم القتل والاعتداء والسرقة على ايدي المراهقين، وخصوصاً على كبار السن من النساء والرجال لضعف هؤلاء وعدم قدرتهم على المقاومة. ففي ١٦ ديسمبر ١٩٩٤ قُبض على ثلاثة مراهقين أعمارهم ١٣ و١٤ و١٧ سنة ومعهم فتاة عمرها ١٤ عاماً لقتلهم مسناً مُعَوَقاً ومريضاً بالسرطان في فراشه بطريقة بشعة جداً، وقبل أسبوع من ذلك هاجم مراهق إمرأة مسنة عمرها مائة عام ليسرق راتبها التقاعدي في الشارع العام وأوقعها على الارض مسبباً لها كسوراً شتى، ولا يخلو اسبوع من خبر عن احدى جرائم المراهقين في بريطانيا.

كما تفاقمت حالات اعتداء طلبة المدارس في بريطانيا على مدرسيهم (او مدرساتهن) والتسبب في اصابة بعضهم بإعاقة دائمة. وليس غريباً ان يكون هناك علاقة قوية بين اهمال الطفل في سنيه الاولى وبين زيادة، جنوح الاحداث (Lewis 1992). أما ظاهرة تغيب الطلبة عن مدارسهم فقد استفحلت في بريطانيا الى الدرجة التي جعلت رئيس حزب المعارضة يقترح معاقبة الوالدين، الذين يتكرر غياب طفلهما عن المدرسة دون عذر مشروع، بما يسمى بخدمات للمجتمع وذلك بأداء عمل للمجتمع دون أجرة، مثل تنظيف الحدائق العامة وغيرها.

وحتى في وسائل اللهو والتسلية بدأ حدوث ظواهر عنف غريبة لم تكن تحدث من قبل. فظاهرة الشغب في ملاعب كرة القدم التي ابتدأت خلال السبعينيات واستمرت حتى يومنا هذا. واشهر حوادث الشغب تحدث غالباً من مشجعي كرة القدم الانجليز في بريطانيا ودول اوربا. ويصعب التحكم في هذه الحوادث بسبب كثرة الجموع المشاركة من بين عدد كبير من الناس الاعتياديين.

إن من أهم ما يقلق العالم في زيادة جرائم الاحداث وصغار الشباب، هو ان هؤلاء الجانحين سيقضون حياتهم بين مراتع الجريمة المختلفة لصعوبة اصلاحهم واعادتهم الى الطريق السوي. ويُعرّف الاحداث بانهم الفئة العمرية بين ١٦-١٨ سنة أي الذين هم على عتبة النضوج ولايزالون في مرحلة حرجة يسهل التأثير عليهم، بينما يشمل صنف صغار الشباب في الدول الاوروبية حتى عمر ٢١ سنة كما سيتضح لاحقاً. لقد ازدادت جرائم هذه الفئة بعد الحرب العالمية الثانية في الدول الغربية بسرعة اعلى بكثير من تلك للفئات العمرية الاخرى. ففي بريطانيا كان عدد المحكوم عليهم في الفئة العمرية ١٧-٢٠ في عام ١٩٨٧ هو ٩٩٧٠٠ رجل و١٢٣٠٠ امرأة (أي أن النساء يمثلن ١١٪ من المجموع الكلي). وعدد المعتقلين ٢٠٠٠٠

رجل و ٦٠٠ امـرأة (أي ٢،٩٪ من المجموع). والاحصـائيات الخاصة بالجرائم تُؤخذ عادة من سجلات الشرطة. أما عدد الجرائم التي لا يُبلّغ عنها او التي لم يُكتشف فيها الجاني فيطلق عليها الارقام الداكنة (Junger-Tas 1994).

تُصنف الجرائم الى نوعين رئيسين، الاول هو جرائم الممتلكات، مثل السرقة والاحتيال والنصب وكل ما يدخل في دائرة الحصول على المال بطريق غير مشروع، والثاني جرائم العنف كالقتل والاعتداء. يبين الجدول (٤-٦) ارتفاع عدد الجرائم بنوعيها خلال تسع سنوات في سبع دول اوروبية وكندا، ويتضح ان عدد جرائم الممتلكات يرتفع إلى ما بين ١٠ الى ٢٥ ضعفاً من جرائم العنف. ولكن معدل الزيادة خلال تسع سنوات في جرائم العنف هي حوالي ضعف الزيادة في جرائم الممتلكات (Junger-Tas 1994).

وفيما يلي **الجدول** (٤-٦): والذي يبين عدد جرائم العنف والممتلكات لكل ١٠٠٠٠٠ من السكان في سبع من الدول الاوربية وكندا للعامين ١٩٨٠ و١٩٨٩ (أو *- ١٩٨٨، **- ١٩٨٧) والزيادة بين العامين كنسبة مئوية (Junger-Tas 1994).

الدولة	جرائم العنف (١٩٨٠)	جرائم العنف (١٩٨٩)	الزيادة المئوية	جرائم الممتلكات (١٩٨٠)	جرائم الممتلكات (١٩٨٩)	الزيادة المئوية
كندا	٦١٨	٨٤٦	٣٦,٩	٥٨٣١	٥٧٦٠	١,٢-
المانيا الغربية	٣٧٢	*٣٩٢	٥,٤	٤٥١٥	*٥١٣٩	١٣,٨
السويد	٣٦٠	٥٦٣	٦٥,٤	٧٥١٧	٩٣٢٢	٢٤
انجلترة/ويلز	٢٢٩	٤١٥	٨١,٢	٤٤٤١	٥٩٠٠	٣٢,٩
هولندة	١٤٣	٢٥٤	٧٧,٦	٣٥٣١	٥٦٨٤	٦١
الدانمارك	١٤٣	١٣٣	٧-	٧٢١١	٩٢٥٥	٢٨,٤
فرنسا	١٣٥	**١٦٢	٢٠	٣٨٢٩	**٤٥٠٤	١٧,٦
النرويج	١١٢	*١٩٧	٥٧,٩	٢٥٤٥	*٤٣٢٥	٦٩,٩
المعدل	٢٦٤	٣٧٠	٤٠,٣	٤٩٢٨	٦٢٣٦	٢٦,٦

يتضح من الجدول (٤-٦) أن اعلى عدد لجرائم العنف هو في كندا للعامين ١٩٨٠ و ١٩٨٩، تليها السويد؛ وأعلى زيادة مئوية فيها كانت في انكلترة وويلز. أما اعلى عدد جرائم الممتلكات فهو في السويد وتليها الدنمارك وللعامين المذكورين.

إن مايثير الاستغراب ليس فقط ارتفاع اعداد الجرائم وانما الدول "الفائزة" بأعلى الحصص، وهي الدول التي يُضرب المثل في رفاهية شعوبها واستقرارها السياسي الذي يبدو وكأنه راسخ لايهتز!

يبين الجدول (٤-٧) إسهام الأحداث وصغار الشباب في الجرائم في خمس دول اوربية، والذي تظهر فيه أيضاً الاختلافات في تعريف الفئة العمرية لما يسمى بصغار الناضجين. إن أي انخفاض في العدد في الجدولين (٤-٦) و (٤-٧)، انما يُعزى الى التغيرات السكانية حيث شهدت السبعينيات انخفاضاً في عدد المواليد مقارنة مع السنوات السابقة مما يعني انخفاض عدد الناضجين الصغار في نهاية الثمانينيات. وتسجل النرويج اعلى نسبة مئوية لصغار الناضجين من المجموع الكلي للمجرمين، فحوالي ربع المجرمين هم من صغار الشباب. أما في أمريكا فان أعلى معدل لجرائم الممتلكات يقع في عمر ١٦ سنة ولجرائم العنف في عمر ١٨ سنة (Junger-Tas 1994).

وفيما يلي **الجدول (٤-٧)** : والذي يبين عدد المجرمين من صغار الناضجين ونسبتهم المئوية من مجموع المجرمين في خمس دول اوروبية للعام ١٩٨٨ (Junger-Tas 1994).

الدولة	الفئة العمرية	العدد(×١٠٠٠)	النسبة المئوية
النرويج	٢١،٢٠،١٩،١٨	٤،١	٢٤،١
انكلترة/ويلز	٢٠،١٩،١٨	٩٤	١٧،٩
السويد	٢١،٢٠،١٩،١٨	١٥	١٦،٦
المانيا الغربية	٢٠،١٩،١٨	١٤١،١	١٠،٨
الدنمارك	١٨،١٨	٦،٥	١٠،٦

أما إسهام المرأة في عالم الجريمة فيمكن استنتاجها من احصائيات احدى الدول والتي لن تختلف كثيراً عن باقي الدول الاوربية، ففي السويد مثلاً تمثل النساء (من فئة عمر الناضجين الصغار) نسبة ٧٪ من جرائم السرقات و٦٪ من جرائم السطو والاقتحام و٥٪ من جرائم سرقة السيارات و٧٪ من جرائم الاعتداء المؤدي الى ضرر. وأعلى نسبة لاسهام المرأة في الجرائم هي في جرائم المخدرات حيث ترتفع الى ١٥٪، وتعد جرائم المخدرات ضمن الارقام الداكنة (Junger-Tas 1994).

يبدو ان احدى الحالات المصاحبة لكثرة الجرائم هو ازدياد الخوف والرعب من قبل عامة الناس من التعرض للاعتداء. ففي استبيان قامت به صحفيّة بين حوالي الف شخص في لندن وجدت ان حوالي ٧٥٪ منهم يعتقدون ان احتمالية التعرض لاحد اشكال الاعتداء تفوق تلك التي حدثت قبل عشر سنوات، وان خوفهم من الاعتداء يفوق خوفهم من سوء المعاملة في المؤسسات الصحية الحكومية ومن البطالة والتضخم، و١٧٪ منهم قلقٌ جداً. واكثر القلقين من المجموعة هم كبار السن. لقد أجمع ٩٤٪ من المشاركين في الاستبيان على أن التربية في البيت هي العامل الرئيس. كما اعتبر تهدم العائلة، والعطالة، وقلة العقوبات في المدارس، والفقر اهم من الافلام والفديو. ويبدو ان عامة الناس تتوقع الاعتداء اكثر من الاحتمالية الاحصائية لحصول الاعتداء الفعلي. وقد اشارت ارقام وزارة الداخلية الى ارتفاع الجرائم بنسبة ٥٪ خلال العام ١٩٩٤(Frean 1995). وغالباً ما تعزى الجرائم والامور الاخرى الى الحالة الاقتصادية، في حين ان افتقاد الرعاية الاسرية الحقيقية هو السبب الاصلي في كل ما يحدث. ولقد تفشت في بريطانيا ظاهرة غريبة هي اضفاء هالة من الدعاية لبعض "مشاهير" صغار المجرمين فأصبح يطلق عليهم صفات تشبه تلك التي تمنح لمشاهير ممثلي السينما ولاعبي كرة القدم. فهناك "الفتى الفأر" والاخر "المتمرد"، مما زاد الطين بلة اذ ان بعض المجرمين، من الكبار أوالصغار، يرتكب الجريمة لا لشيء إلا ليرى اسمه أو صورته في الصحف ولتتناقل الاذاعات ومحطات التلفاز اسمه وصورته.

ثانياً: الاعتداء على النساء والاطفال

تزداد حالات الاغتصاب سنوياً في بريطانيا، حيث ارتفعت من ١٣٣٤ حالة في عام ١٩٨٣ الى ١٤٣٣ عام ١٩٨٤ والى ١٨٤٢ عام ١٩٨٥ أي بزيادة ٣٨٪ خلال سنتين. وتُعزى الزيادة بصورة اساسية الى تعاطف الشرطة مع المُبلغات عن هذه الحوادث وتوفيرهم الرعاية النفسية والصحية لهن خلال فترة التبليغ (United Nations 1991). وتشير آبوردين ونيزبيت الى ان ٢٥٪ من النساء في امريكا يتعرضن الى احد أشكال العنف والاعتداء خلال احدى مراحل حياتهن. و٦١٪ ممن يتعرضن للاغتصاب ممن يقل عمرهن عن ١٧ سنة. وذكر تقرير احدى المؤسسات الخاصة بمساعدة الضحايا أنه خلال عام ١٩٩١ اغتصبت ٦٨٣ ألف امرأة وأكثر من نصف هذا العدد هم من الاطفال والبنات. ان من بين ٦٠٪ الى ٨٥٪ من الحالات يكون المعتدي فيها هو احد أفراد العائلة أو من المعارف. كما تشير الاحصائيات الى ان امرأة تغتصب في كل دقيقة في امريكا (Aburdene & Naisbitt 1993). وقد أسهمت الحركات النسوية في رفع الستار عن تلك الجرائم، ففي الستينيات كن ضحايا الاعتداء لا يتقدمن بشكوى بسبب اللوم الذي كن يتعرضن له إضافة الى التحري في ماضيهن وحياتهن الشخصية. وتوجه الامر بعد ذلك، في السبعينيات، نحو معاقبة المعتدي ومنع التحري في ماضي الضحية لتفادي ايجاد تبرير للجريمة (Hartmann 1989).

كما تمثل قضية الاعتداء على الاطفال، بأنواعه المتعددة من الضرب المبرح الى الاغتصاب، احدى مشاكل المجتمع الغربي المستفحلة. فتذكر آبوردين ان ثلث الاطفال في امريكا يتعرضون للاعتداء قبل أن يصلوا عمر ١٨ سنة، وان هناك ٢,٧ مليون طفل يعتدى عليه سنوياً. فعلى سبيل المثال عثر في نهاية عام ١٩٩٤ في بريطانيا على جثة طفل عمره إثنا عشر عاماً عليها اثار لانواع عديدة من التعذيب الجسدي، مثل آثار لاعقاب السجائر وكدمات من الضرب، ثم عثر على جثة والده الذي كان يُعذبه بعد بضعة ايام منتحراً في داره. كما عُثر على جثة طفل في السادسة من عمره في بداية عام ١٩٩٥ وقد اتهمت امه بسوء معاملته مما أدى الى هروبه من البيت وتعرضه للقتل. وتسعى الكثير من الجمعيات النسوية في القيام بمحاولة لايجاد حلول جذرية لهذه المشكلة وعدم الاكتفاء بتوفير الاحصائيات حيث ان الكثير منها يحصل ضمن العائلة.

٤-٣ التدخين والكحول والمخدرات

تعد هذه الآفات الثلاث أهم اسباب تدهور صحة الفرد، وقد اثبتت الاحصائيات تفشي ظاهرة تعاطي هذه الآفات الثلاث في العالم. فالتدخين، وهو احد اهم اسباب سرطان الرئة ومشاكل الجهاز التنفسي، انتشر بين اكثر من ربع نساء العالم. ومنذ ١٩٨٥ تموت ١٢٦٠٠٠ امرأة سنوياً بأحد الامراض الناتجة عن التدخين. فسرطان الرئة ازداد بنسبة ٤٠٠٪ خلال الفترة ١٩٨١-١٩٨٩، كما ويزداد انتشار التدخين بين صغار العمر في معظم دول الغرب. وتوضح جداول الامم المتحدة عن نسبة المدخنين من الرجال والنساء في العالم بان معدل النسبة المئوية للنساء المدخنات في ٢٧ دولة متقدمة هو ٢٣،٦٪، أعلاه (٣٨٪) في تشيكوسلفاكيا (سابقا)، أما معدل المدخنين من الرجال فهو ٤٤،٢٪ أعلاها (٦٢٪) في بولندة. ولا تتجاوز نسبة النساء المدخنات عن تلك التي للمدخنين الا في السويد (٣٠٪) من النساء مقابل ٢٦٪ من الرجال) وتتقارب النسب في كل من المملكة المتحدة (٣٢٪ من النساء و٣٦٪ من الرجال) وفي الولايات المتحدة الامريكية (٢٤٪ من النساء و٣٠٪ من الرجال) .(United Nations 1991)

أما في الدول الاسلامية فمعدل النسبة المئوية للتدخين بين النساء، في عشر دول، هو ٤,١١٪ ، أعلاها في تركيا (٥٠٪ من النساء مقابل ٥٠٪ من الرجال) تليها بنغلاديش (٢٠٪ من النساء مقابل ٧٠٪ من الرجال) ثم الكويت (١٢٪ من النساء مقابل ٥٢٪ من الرجال). ومعدل النسبة المئوية للمدخنين بين الرجال هي ٥٢,٣٪ (United Nations 1991) .إن نسبة المدخنين من الرجال في الدول الاسلامية تفوق تلك التي في الدول الغربية ويتجاوزهم نسبة المدخنين من الرجال في دول العالم الفقير في دول امريكا الجنوبية وجنوب اسيا. أما النساء، فان النسبة المئوية للمدخنات في الدول المتقدمة تفوق عدة اضعاف تلك التي عند النساء في الدول الاسلامية. وإذا كان للتقاليد بعض الفوائد فإن فائدتها تظهر في قلة نسبة المدخنات من النساء وما يصاحبه من توفير للمال المحروق مع الدخان والصحة المتدهورة مع تقدم العمر. ولا نجد لهذه الظاهرة اي صدى عند النشطات في "الدفاع" عن حقوق المرأة المسلمة فهي لاتلائم غرضهم للكتابة والتهجم.

وقد ازداد تعاطي الكحول والمخدرات في العالم من قبل الصغار والاحداث كما ازداد انتشار الامراض الخبيثة المتنوعة مثل الايدز (مرض نقص المناعة المكتسبة) بسبب الممارسات

الشاذة. حيث قدر وجود ستة ملايين حالة ايدز في العالم ثلثها (أي مليونين) من النساء، فقد اصبح هذا المرض اكبر عامل في وفاة النساء في الفئة العمرية ٢٠-٤٠ سنة في المدن الرئيسة في اووربا وامريكا ومن ضمنها نيويورك (United Nations 1991).

لقد انتشرت المخدرات في امريكا ببطء خلال السبعينيات وانتقلت، كما تنتقل الكثيـر مــن الظواهر، الى اوربا. وتعد المخدرات احدى الظواهر التي تتضمن الاعداد الداكنة فيصعب معرفة ارقامها الحقيقية. ففي هولندة يقدر عدد المدمنين ما بين ١٥ الى ٢٠ الـف مدمـن، وفي المانيا الغربية ما بين ٦٠ الى ٧٠ الف وفي انكلترا ما بين ٦٠ الى ٨٠ الف (Junger-Tas 1994). وبسبب الحاجة لاستمرار شراء المخدرات ولغلاء اسعارها، فان المدمن يضطر لارتكاب جرائم السرقة لتوفير حاجته من المخدرات. وتقدر مصروفات المدمن من دخله الخاص بـ ٦٠٪ ومن ارتكاب الجريمة بٌ ٤٠٪، فالرابطة قوية بين تعاطي المخدرات وارتكاب الجرائم للحصول على المال، حيث يرتكب ٢٠٪ من المدمنين السرقة و٣٣٪ منهم ارتكب حادثة سطو (Junger-Tas 1994).

يُشبّه بليز-غوزدين المخدرات، وهو ضابط شرطة متقاعد قضى معظم مدة خدمته في ملاحقة المدمنين ومصنعي وبائعي المخدرات، بوباء الطاعون (أو الموت الاسود) في القرون الوسطى. وينتقد تطرف علماء الاجتماع حين يحاولون ايجاد الاعذار والمبررات لمتعاطي المخدرات وخصوصاً من المراهقين، بعكس رجال الشرطة الذين يمثلون الطرف الاخر والذين لا يقبلون الاعتذارات. ولابد من وجود حل وسط بينهما. ويبين ان اهم فئة عمرية معرضة لخطر الادمان هي ما بين ١٢ و١٦ سنة وتليها فئة ١٦-٢٠ سنة. ويلقي التبعية على العائلة التي لا تميز بين ما يسمى بحقوق الطفل في الحرية والاختيار وبين واجبات الوالدين في توجيه الطفل ونصحه. ويمتدح العوائل من الاقليات العرقية التي تتشدد في تربية ابنائها والتي تتعرض في الوقت نفسه لانتقاد الصحافة والراي العام في بريطانيا لأنها تقوم بالضغط على أولادها وتعاملهم بما لا يتلاءم وروح العصر الحاضر الذي نعيش فيه.

لقد تنوعت أشكال جرائم المخدرات بشكل غريب، فقد انشغلت وسائل الاعلام في بريطانيا في نهاية شهر كانون الثاني في عام ١٩٩٥ بخبر العثور على جثتي رجل وامرأة في العشرينيات من عمرهما ماتا خلال عطلة عيد الميلاد أي في نهاية شهر كانون الاول ١٩٩٤ بسبب تعاطيهما جرعة عالية من المخدرات، وقربهما جثة طفلهما، الذي يبلغ من العمر ١٨

شهراً، ميتاً من العطش وبيده لعبته. أن هذه المأساة لا تشير فقط الى مشكلة المخدرات المستفحلة في العالم الغربي فحسب وإنما تشير أيضاً الى أن الكثير من الناس يعيشون دون ان يتعرفوا على جيرانهم أو أن يكونوا على اتصال بأهل أو أصدقاء. فقد حدث أن أحداً لم يفتقد المتوفيان ولمدة تزيد على الشهر حتى قدوم صاحب الدار.

يعزو بليز-غوزدين اسباب الادمان الى العائلة بصورة رئيسة اضافة الى إسهام وسائل الاعلام في التشجيع على ذلك، من خلال الافلام والتلفزيون والاعلانات التجارية. كما يسهم تجار المخدرات في تشجيع الصغار بصور مختلفة. وما ان يتحول اللهو في البداية الى ادمان حتى تبدأ الحلقة المفرغة من سلسلة الجرائم للحصول على المال. فقليل من المدمنين يتمكن من تدبير ١٠٠ دولار امريكي في اليوم (حوالي ٧٥ جنيه استرليني) للهيروين أو حتى ١٠ دولارات في اليوم للكانابيس من دون سرقة او وسائل احتيال اخرى. وتقدر الكلفة السنوية للمخدرات في العالم لعام ١٩٨٧ بـ ٣٠٠ الف مليون (٣٠٠ بليون) دولار، تسهم الولايات المتحدة الامريكية بثلث هذا المقدار، الذي يذهب معظمه الى جيوب تجار المخدرات (Blaze-Gosden 1987).

أما الاعداد المخمنة في امريكا لعام ١٩٨٥ فهي كما يلي: اكثر من نصف مليون مدمن هيروين، مليون متعاطي مهلوسات مثل ايل ايس دي، ٢٠ مليون متعاطي ماريوانا او كانابيس، ٦ ملايين مزور وصفات طبية للحصول على المخدرات، ٨ الى ٢٠ مليون متعاطي كوكايين بصورة منتظمة. والمجموع يتراوح بين ٣٥,٥ مليون و٤٧,٥ مليون اي بين ١٥٪ الى ٢٠٪ من مجموع سكان امريكا البالغ تعدادهم ٢٤٢ مليوناً، أما في بريطانيا فكان عدد مدمني الهيروين في عام ١٩٨٣ هو ١٤٠ الفاً ازداد الى ٢٠٠ الف اي بنسبة ٣٠٪ خلال ثلاث سنوات . وان ٥٠٪ من الاعتقالات في دول الاتحاد الاوربي مرتبط بالمخدرات. ولا تجدي المحاولات لمعالجة المدمنين، فبالرغم من كلفتها العالية البالغة ٣٠٠٠ جنيه استرليني اسبوعياً (لارقام عام ١٩٨١) فان نسبة الشفاء من الادمان لاتتجاوز ٣٪، والباقي (اي ٩٧٪) يعاود الادمان. كما ان ٣٠٪ فقط من المدمنين يكمل دورة العلاج التي تستغرق ثلاث سنوات (Blaze-Gosden 1987).

لم تكن مشكلة المخدرات في امريكا واضحة خلال الخمسينيات، فقد كانت مقتصرة على عدد قليل يقدر بـ ٦٥ ألفاً معظمهم في نيويورك، وكانت المخدرات مرتبطة بالسود والمهاجرين والمجرمين، فلم يعرها السياسيون اهمية تذكر. وفي بداية الستينيات ومع حركة (أو ما يسمى

بثورة) الشباب بدأت المخدرات تنتشر بين مراهقي الطبقة المتوسطة من البيض وهبط عدد متعاطيها من السود، بسبب صدور بعض قوانين الحقوق المدنية للسود وانخفاض مستوى التمييز العنصري. ثم ارتفع العدد في السبعينيات مع عودة المجندين من فيتنام. ويقدر الان مقتل ربع مليون مراهق سنوياً بسبب المخدرات. وأظهر احصاء ١٩٧٩ ان ٣٩٪ من طلبة الثانوية يتعاطون المخدرات. أما في أواخر الثمانينيات فإن ثُلثي طلبة الثانوية يتعاطون أحد أنواع المخدرات و٢٠٪ منهم يتعاطون الماريوانا يومياً (Ryan 1989).

إن المشاكل المصاحبة للمخدرات، إضافة الى الجرائم التي تسهم في تدمير المجتمع، هي الامراض الخطيرة والناجمة من استخدام الحقن لتعاطي المخدرات وما يصاحب ذلك من تلوث في البيئة ونقل للامراض عند تبادل الحقن التي لا يجوز استخدامها أكثر من مرة واحدة. وأسوأ ما ظهر من أمراض حديثة هو الايدز (نقص المناعة المكتسبة) الذي ظهر لاول مرة في مجتمعات الشذوذ (أو ما يسمى بمعاشري المثل) ومتعاطي المخدرات في سان فرنسيسكو ونيويورك ثم انتقل الى كندا وانكلترا. وتشير احصائيات عام ١٩٩٣ الى ان عدد الذين يحملون فيروس HIV المسبب لاعراض نقص المناعة المكتسبة (الايدز) في العالم يتراوح بين ١٤ الى ١٨ مليون ويوجد ٧,٢ مليون مريض بالايدز. في امريكا، حيث يموت سنوياً ٢٤٠٠٠ بسبب الايدز، علماً أنه كانت ميزانية بحوث الايدز لعام ١٩٩١ هي ٨٠٠ مليون دولار. وتحتج الحركات النسوية على قلة ميزانية بحوث سرطان الثدي، التي تقدر بحوالي ٩٣ مليون دولار لعام ١٩٩١، مع ان ٤٦٠٠٠ امرأة تموت سنوياً في امريكا بسرطان الثدي (Aburdene & Naisbitt 1993). وتعزو الهيئات الصحية الفرق الكبير في الميزانية، بالرغم من ان الوفيات بسرطان الثدي حوالي ضعف تلك بالايدز، الى سببين: الاول هو ان مرض السرطان غير معدٍ والثاني ان انتشاره ابطأ من الاخر. ويعد الايدز الان القاتل الاول للشابات في مدينة نيويورك حيث وجد ان النساء اكثر عرضة لتقبل المرض من الرجال، كما يقدر ولادة بين ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ طفل سنوياً يحملون فيروس المرض (Aburdene & Naisbitt 1993). كما يُعاني متعاطي المخدرات من مجموعة امراض اخرى مثل القروح (من أثر الحقن) والانيميا والاختناق والتهاب الكبد والارق والغانغرين والجنون.

لقد نشر الباحثـان كاثرين تيسـتمين وبيتر كـولز مقالاً عن مـرض الايدز في الـدول العربيـة أشارا فيه الى الأثر المباشر للدين الاسلامي في تقليل الاصـابات (Tastemain & Coles 1993)، بالرغم من انهما شككا في صحة الارقام المبلغة من قبل تلك الدول الى الامم المتحدة. وكان عنوان المقال المثير هو "هل يمكن لحضارة ان توقف مسار الايدز؟" وتناول المقال الاحصائيات الضئيلة لمصابي الايدز في الدول العربية في أسيا وشمال افريقيا. ففي ١٦ دولة عربية في اسيا وشمال افريقيا يوجد ١٥٩١ اصابة حسب ارقام الامم المتحدة بين عامي ١٩٧٩ و ١٩٨٥ (أي بمعدل ١٠٠ اصابة لكل دولة). كما ان معظم المرضى اصيبوا عندما كانوا خارج بلادهم. واعلى الارقام المسجلة هي ٦٥٠ في السودان و ٢٦٥ في جيبوتي، ويعزى هذا العدد المرتفع الى الدول الحدودية المجاورة لهما مثل اوغندا وزائير الموبوأتين بشدة في بهذا المرض. أما الارقام المخمنة للدول الست عشرة فهي ١٠٠٠٠ (عشرة آلاف) اصابة بالايدز، أي بمعدل ٦٥٠ اصابة لكل دولة، واكثر من ٧٥٠٠٠ (خمسة وسبعين ألفاً) من حملة فيروس HIV. وعند اعتبار عدد السكان في هذه الدول، الذي يتجاوز ٣٠٠ مليون، نجد ان كلا من الارقام المسجلة في الامم المتحدة او الارقام المخمنة جد ضئيلة، مما يؤكد ان الرادع الديني هو السبب الاساس في حماية الدول الاسلامية من تفشي هذا الوباء الذي لم يُعرف بعد كيفية الوقاية منه او علاجه بالرغم من ضخامة الميزانية المخصصة لبحوثه وانقضاء اكثر من عشر سنوات على البدء بهذه البحوث. فموقف الاسلام لا يتغير، كما تتغير مواقف الكنيسة، تجاه الشذوذ (أو ما يسمى بمعاشري المثل) ولا يمكن ان ينظر اليهم بنظرة العطف او التفهم، كما يحدث في الغرب، لان ذلك سيؤدي الى ان الجيل الجديد لن يجد رادعاً يمنعه من الانجراف الى الحضيض نفسه. كما ان موقف الاسلام ثابت من تحريم المخدرات وعدم تبرير تناولها والتي لوسائل تناولها اثر كبير في انتقال هذا المرض.

إن القاء اللوم على السياسيين ومن كان بيدهم سلطة تشريع القوانين بسبب تساهلهم مع المد الاول للمخدرات في الستينيات والسبعينيات لايحل المشكلة، كما أن الحلول المقترحة تدعو الى الدهشة فهي تتراوح بين زيادة نصح الصغار، رغم فشل نصائح منع التدخين وشرب الكحول، وبين توزيع المخدرات مجاناً للمدمنين لقطع دابر عصابات المخدرات التي تستقطب العديد من المتعاطين الجدد من الصغارٌ !كما يعرض الحل الاخر منع المخدرات كلياً بمنع زراعتها في دول العالم الثالث مع دفع التعويض للمزارعين بدلا من دفع البلايين لتجار

المخدرات (Blaze-Gosden 1987). وكالمعتاد فإن محاولة العلاج تتجه نحو الفروع بدلا من الاتجاه الجذري للعلة الا وهو اصلاح العائلة.

أما الكحول فمشاكله المصاحبة هي جرائم العنف نحو الزوجة او الاطفال او عامة الناس، إضافة الى حوادث الطرق والسيارات التي لسياقة المخمورين فيها دور كبير. كما ان العديد من المخمورين يتعرضون لحوادث دهس (Junger-Tas 1994). وان كان ثلثا طلبة الثانوية في امريكا يتعاطون المخدرات و٢٠٪ منهم يتعاطى الماريوانا يومياً فان ٩٣٪ منهم يشربون الكحول وحوالي ٤٠٪ منهم يشربها بافراط. ويدّعي ٥٨٪ منهم انه يتعاطى الكحول بسبب الضغوط الاجتماعية بالرغم من معرفتهم بمخاطرها الصحية على المعدة والكبد اضافة الى مخاطر الموت او القتل في حوادث السيارات. حيث يُقتل سنوياً ٩٨ ألف فرد بسبب الكحول، و ٥٠ ألفاً منهم في حوادث سيارات. ويقدر المعدل السنوي لما يستهلكه الفرد الامريكي من الكحول النقي بِـ ٢,٧ غالون، أي ما يعادل ٥٩١ علبة بيرة (١٢ اونس) أو ٢١٥ زجاجة خمر أو ٣٥ زجاجة ويسكي (Ryan 1989). كما ان عدد المراهقين المنتحرين خلال عشرين عاماً ارتفع من ٣,٧ لكل ١٠٠ ألف الى ٨,٧ لكل ١٠٠ ألف وذلك بسبب الكوكايين، أي أن العدد تضاعف تقريباً، وازدادت النسبة المئوية لانتحار المراهقين بسبب الكحول والمخدرات للفترة نفسها من ٣,٤٪ الى ٣١٪ أي حوالي تسعة أضعاف. ويمكن استنتاج استعصاء حل هذه المعضلة من العدد الكبير للمؤسسات التي تعني برعاية المراهقين المدمنين للكحول او المخدرات في امريكا. فقد اوردت اليزابيث ريان اسماء وعناوين ٦٢٧ مؤسسة رعاية خاصة (أي بمعدل ١٣ مؤسسة لكل ولاية، فيها ٤٣ مؤسسة في كاليفورنيا و ٣٩ في الينوي و٣٥ في فلوريدا) وارقام هواتف ٣٢٣ مكتب مساعدة بالهاتف و٥٠ مؤسسة حكومية، أي بمعدل ٢٠ مكتباً ومؤسسة حكومية وخاصة لكل ولاية، وضخامة هذا العدد توضح مدى استفحال المشكلة.

٤-٤ الكنيسة والنساء والامور الاخلاقية

لقد أدى تكريس النساء في الكنيسة واعطائهن حق القيام بمهام كانت محصورة برجال الدين الى انشقاق الكثير من المعارضين وانتمائهم الى كنائس ترفض بصورة مطلقة منح النساء هذا الامتياز مثل الكنيسة الكاثوليكية، كما ادى هذا الى انشقاق النساء وتركهن

للكنائس التي ترفض منحهن هذا الامتياز والانتماء الى كنائس تمنحهن حق القيام بذلك. ففي عام ١٩٤٧ كُرست اول ثلاث نساء في الكنيسة اللوثرية الدنيماركية، أما الكنيسة الانجليزية فقد وافقت على تكريس النساء بعد سنين طويلة من النقاش وانتهت باستفتاء في نهاية عام ١٩٩٢ بالموافقة بأغلبية ضئيلة على ذلك (Aburdene & Naisbitt 1993). وقد انشق على الكنيسة الانجليزية العديد من المعارضين لهذا الموضوع من كبارالمنتمين اليها ومن الناس عامة وانتموا الى كنائس اخرى بسبب ذلك.

تكمن المشكلة اعلاه في وجود رجال دين متخصصين بأعمال الكنيسة كل حسب تدرج موقعه فيها. فمثلا هناك من يقوم بالوعظ ومراسيم الزواج اوالتعميد، بعد اجازته من السلطات العليا في الكنيسة وهو ما لا يسمح للنساء القيام به. ويعده البعض مخالفة صريحة لنصوص العهد الجديد بسبب ما كتبه بولس، وتقدم ذكره، من وجوب صمت النساء في الكنيسة. وقد أثّر ذلك على موقع الدين عند البقية القليلة الباقية التي تؤمن به. وتشبّه كارول اعتراض رجال الكنيسة المسيحية على التحاق النساء بمناصب الكنيسة بما يحدث عند رجال الدين الهندوس بمعارضتهم تعليم المرأة في الهند أو الاقطاعيين في منح الفلاحين بعض الحقوق في الارض التي يزرعونها (Carroll 1983). وقد اسهمت الحركات النسائية في تشجيع اصدار طبعة جديدة من كتب العهد القديم والجديد اطلق عليها الطبعة المصححة سياسياً politically corrected bible في عام ١٩٩٤، وتم فيها تغيير الكثير من المصطلحات والضمائر المذكرة وتحويلها الى ضمائر حيادية مراعاة للفمنزم! كما خُفف تأثير الكلمات التي تصف الشذوذ عند الناس. ولا عجب في هذا فالتغيير في كتبهم المقدسة هي ممارسة كانت مستمرة عندهم منذ أن كُتبت هذه الكتب لأول مرة. لذلك اعتمدت كل كنيسة العديد من الطبعات على مر تاريخها، اضافة الى اختلاف الطبعات الخاصة بكل كنيسة. ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الممارسة في القرآن العظيم قبل أربعة عشر قرناً بقوله الكريم: ﴿ **فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون** ﴾ (البقرة: ٧٩).

إن تذبذب المبادئ التي تعتمدها الكنيسة، باعتبارها المرجع الاول للاخلاق في المجتمع الغربي، أزال هيبتها في المجتمع. وبدأ الجميع يتهم الكنيسة ورجالها بالنفاق والكذب. فقد سمحت الكنيسة بالطلاق بعد أن كان الزواج بنظرها "اتحاداً أبدياً"؛ كما اخذت تعترف الان

بالممارسات الشاذة في معاشرة المثل بين الناس وذلك لوجود العديد من كبار رجال الكنيسة ضمن هذا الصنف، وهؤلاء متقلدون لأعلى المناصب في الكنيسة بالرغم من تاريخهم المشبوه. فقد عين في نهاية عام ١٩٩٤ في درم، وهي مدينة تاريخية عريقة في شمال شرق انكلترا، اسقف (مطران) كان قد حُكم عليه في قضية شذوذ ارتكبها قبل ثلاثين عاماً. والمنصب الذي أحتله باحتفال تقليدي ضخم حضره كبار رجال الكنيسة الانجليزية وقاطعه بالصياح مناصرو الشذوذ، لانه نفى عن نفسه تهمة الشذوذ فاعتبروه يتنصل عن "طبيعته"، ويعتبر منصبه أحد أهم أربعة مناصب في الكنيسة الانجليزية. كما أن جمعية مناصري الشذوذ هذه أعلنت انها بعثت برسائل الى عشرة اساقفة في بريطانيا ترجوهم فيها الاعلان عن ميولهم الحقيقية (كشذوذ) وعدم اخفائها، وقد ادى ذلك الى اعلان اثنين منهم وهما اسقف غلاسكو الكردينال هيوم واسقف لندن ديفيد هوب عن انتمائهما الى صنف معاشري المثل. كما أن الاسقف (المطران) السابق في درم، الدكتور ديفيد جنكنز، والذي شغل المنصب لاكثر من عشر سنوات، كان يصرح بين مدة وأخرى بتصريحات مناقضة للمبادئ المسيحية مثل ادعائه بأن ولادة العذراء هو رمز أكثر منه حقيقة. فيما صرح قس آخر في كتاب نشره بعدم وجود إله وحوّل رعايا كنيسته الى عبادة ما يتخيله كل واحد منهم من صورة في ذهنه. وهكذا أصبحت الفضيلة والرذيلة اموراً نسبية تعود الى "ضمير" الفرد. لقد وصل تدهور الكنيسة اخلاقياً مستوى لم يصل إليه من قبل، فعندما يصرح أحد رجال الكنيسة برأي ما منتقداً مبادئ الحكومة فيما يخص القوانين وزيادة الضرائب وتأثير ذلك على الطبقة الفقيرة في البلاد، يتصدى له الحكوميون بحجة دامغة هي ان رجال الكنيسة هم آخر من يستطيع أن يتكلم عن المبادئ. أضافة الى الاختلافات الجوهرية بين عقائد الكنائس المختلفة واضطهاد كل طائفة للاخرى. ففي ايرلندا الشمالية حيث استعرت الحرب الاهلية لاكثر من ٢٥ سنة بين ابناء الشعب الواحد، نجد كل طائفة تسندها كنيستها بدلا من السعي للسلم وحل المشاكل بالتفاهم. ويسهم هذا في مزيد من انفصال الفرد العادي، - الذي يأمل في العيش بسلام مع جاره -، عن الكنيسة التي تفقد كل ما لها من تأثير على الناس بسبب تشجيع رجال الكنيسة انفسهم، مثل القس ايان بيزلي عضو البرلمان البريطاني والذي عارض بشدة المبادرة السلمية التي اعلنت في ايلول ١٩٩٤، على استمرار الخلافات بدلاً من تشجيع الحوار السلمي للوصول الى حل المشكلة التي دمرت حياة العائلات والافراد في ايرلندة الشمالية.

٤-٥ القوانين المدنية

إن القوانين المدنية وتغيرها بين الحين والحين، كما هو حال تغير مبادئ الكنيسة، مثل الغاء عقوبة الاعدام والسماح لعتاة المجرمين بالخروج من السجن (في اجازة أو عطلة) وشبه انعدام عقوبة المراهقين، تسهم بشدة في تغير التركيب الاجتماعي وتدني المستوى الاخلاقي بسبب رخاوة الرادع القانوني، الذي سبقه اختفاء الرادع الديني. فمن غرائب القوانين مثلاً منع صاحب الدار من مهاجمة اللص الذي اقتحم داره، وإذا حدثت مهاجمة واعتداء فإن صاحب الدار يحاكم لكسره القانون واعتدائه على اللص! اضافة الى الاجتهاد الشخصي للقضاة في تحديد الحكم، فكثيراً ما تعلن الاخبار عن الاحكام التي يصدرها القضاة البريطانيون على مختلف الجرائم وتحدث ضجة اما لرخاوتها او لتشددها، مما يؤكد على ان الاحكام هي اجتهاد شخصي للقاضي. فالكثير من صغار المجرمين من ابناء الاقليات يُحكمون بالسجن لمدة مضاعفة لتلك التي يُحكم بها من البريطانيين البيض وللجريمة نفسها. كما أن احد أهم أسباب الغاء عقوبة الاعدام في بريطانيا هو كثرة حالات الاعدام التي نُفذت في ابرياء لم يتمكنوا من اثبات براءتهم التي اكْتِشفتْ بعد تنفيذ الحكم. ولاتزال عقوبة الاعدام سارية في امريكا، بالرغم من المحاولات المستمرة لالغائها، حيث يفضح معارضوها حالات تخفيف هذه العقوبة على المجرمين الاثرياء الذين يدفعون الكثير من الرشاوى والاتعاب للمحامين، في حين تنفذ العقوبة على الفئة الفقيرة فقط. ان التحديد الواضح للعقوبات في الشريعة الاسلامية هو الاختلاف الاساسي عن قوانين الغرب اضافة الى تحريم التمييز، فإقامة الحد على المذنب فقيراً كان أم غنياً هو امر ضروري ليستقيم ميزان العدل في المجتمع ويرتدع الجميع.

ان هذا الفرق الشاسع بين الغرب والعالم الاسلامي، وبالرغم من وجود الكثير من القوانين والمبادئ المدنية في الكثير من الدول الاسلامية، يأتي من ان الاساس في الحياة يعتمد القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة كمرجع مطلق لكل البشر ولكل زمان ومكان. هذا الاختلاف يعيق الغرب عن فهم امور المسلمين كما يبعد المسلمين عن الانحدار الى مشاكل الغرب التي بدأت تتفاقم وتظهر للعيان. من الغريب أن نجد في الغرب من يدعي الحرص على شؤون المرأة المسلمة ويطالب برفع الظلم عنها، بينما مجتمعه يئن تحت وطأة المشاكل الاجتماعية للمرأة وغيرها. وكما يقول المثل فان "فاقد الشيء لايعطيه". ولكن رغم ذلك نرى بعض من وجد له موطناً جديداً للمبادئ بعيداً عن موطنه الاسلامي ينبري ليدعم الاصوات الاجنبية رغم انه يرى بعينه حالة المجتمع الغربي.

الفصل الخامس

الطريق الى استقرار المرأة المعاصرة

الطريق الى استقرار المرأة المعاصرة

تجارب المرأة في القرن العشرين

كان للتجارب التي مرت بها المرأة خلال هذا القرن، وبما لا يقبل الشك، نتائج وخيمة أثرت على حياة المرأة والعائلة والمجتمع بشكل كبير. وقد ثبُت ذلك من الأحصاءات الرسمية غير المتحيزة، وباعتراف النشطات في الحركة النسوية ذاتهن. فلابد إذن من الاسراع بتصحيح الامور قبل ان تصبح أبعد من ان يمكن اصلاحها. وقد اسهم هبوط المستوى الاخلاقي وأختفاء القيم اضافة الى الضمان الاجتماعي الذي توفره الدول الغنية والذي يدعم بشكل مباشر او غير مباشر مختلف سلوكيات الافراد، في التأثير بشكل سلبي غلى كل جوانب المجتمع. فمع تغير أخلاقية المجتمع والاتجاهات الاجتماعية العديدة ارتفعت حالات الطلاق والاجهاض والولادات غير الشرعية وتفسخت عرى العائلة وبدأت ظاهرة عائلة الوالد المنفرد وغيرها من الظواهر السلبية. ان من نتائج تفسخ العائلة جنوح الاحداث والاضطراب الاجتماعي، وما يفرضه ذلك على الحكومات من حتمية التدخل لاصلاح الحالة وازدياد مدى هذا التدخل في خصوصية الفرد.

مرت الحركة النسوية في الغرب بمراحل متعددة وحصلت على الكثير من الاهداف التي سعت اليها، وبدأت الان مرحلة جديدة تتمثل بمحاولة أعادة تجميع الاسرة، التي حطمها بقصد او دون قصد ما تقدم من نشاطات الحركة النسوية. وهذا يعني بدء مرحلة العودة الى الفطرة، وتسهم الجمعيات المناهضة للحركات النسوية التقليدية بدور كبير في هذا الامر. ان خوف نشطات الحركات النسوية حالياً في الغرب يكمن في الخشية من تغير رأي المجتمع، ومن

ضمنه النساء، وفقدان ما حصلن عليه مما يعتقدنه من انجازات يتفاخرن بها. كما ان الخشية من التراجع تُعزى الى زيادة البطالة وتفضيل عودة المرأة للبيت لفسح مجال العمل الى الرجل. كما يُخشى من أن الرجل لن يتنازل بسهولة عن دوره، الذي أعده ومنذ الاف السنين للسيطرة على المجتمع، فلابد من الثورة والتغيير الجذري. لذلك تهدف الحركات النسوية للاعداد لمرحلة جديدة تتمثل في تحرير الرجل نفسه من تمسكه بدوره التقليدي لكي تتحقق المساواة الكاملة بين الجنسين! (Alexander 1983).

ان الفكرة الغربية في المساواة حفزتها، كما سبق ذكره، الخلفية المسيحية للحضارة الغربية، فكانت حمى المطالبة بالمساواة في كل شيئ لتعويض الشعور بالنقص الذي ولدته الكنيسة عند النساء. فالمساواة في التعليم وفرص العمل والاجور بين الرجل والمراة هو امر لايختلف عليه اثنان، الا ان المساواة بينهما في كل شيئ ليس امرا صحيحا، وهذا ببساطة لان بينهما اختلافات حقيقية جسمية ونفسية. ان عمل امرأة ما او عدد من النساء في مجال عمل جسدي شاق لا يعني ان كافة النساء يمكنهن اداء ذلك العمل أو يرغبن فيه، كما ان تخصص عدد قليل من النساء في الفروع العلمية يشير الى انفرادية خاصة لهذه الاقلية. لقد اثبتت البحوث ان عزوف المرأة عن دراسة العلوم لاعلاقة له بالموانع التي يضعها الرجل امامها. فقلة عدد اللاتي يدرسن العلوم والهندسة، أو الحاصلات على الشهادات العليا في معظم الفروع العلمية والادبية، هو مؤشر على رغبة غالبية النساء وميلهن الطبيعي والفطري للاهتمام بالعائلة والاطفال اكثر من الاهتمام بتحصيل مرتبة علمية عالية، وهذا الامر، أي رغبة النساء في تكوين عائلة، لايقلل من مكانة المرأة التي صورتها النشطات في الحركات النسوية على انها يجب ان تكون خارج البيت وليس داخله تعمل دون اجر لخدمة الرجل واطفاله! ان الفرق الجسمي والنفسي بين الرجل والمرأة تثبته الارقام والاحصاءات التي وردت في الفصول السابقة، الا ان من المهم التأكيد على ان اختلاف المرأة عن الرجل لا يعني انها اقل منه مكانة وأهمية، فإذا كانت رغبة غالبية النساء في تكوين عائلة اهم عندهن من تكوين مكانة علمية او ادارية فلماذا لا يؤخذ ميل الاغلبية الصامتة في هذا الامر بنظر الاعتبار وينتهي ضجيج النشطات في الحركات النسوية اللاتي بدأن المسيرة بمطالب حقة وانتهين الى غير ذلك؟

ان قلة نسبة النساء في جرائم الاعتداء والسرقة ايضاً يؤكد اختلاف طبيعة المرأة النفسية عن الرجل. حتى في نوع الجرائم المرتكبة من قبل النساء نجدهن مثلاً يخطفن طفاً

حديث الولادة من المستشفى، كما حدث خلال اواخر عام ١٩٩٤ وتكرر بعد أقل من شهر في بريطانيا. كما ذهبت أحداهن الى رومانيا لتشتري طفلاً وتحاول وزوجها تهريبه من الحدود، وبعد اكتشافهما حوكما وحكم عليهما بالسجن. كما ان كثرة العيادات الخاصة لمعالجة العقم تشير بوضوح الى رغبة المرأة بالامومة. إن الامومة، التي تستنكرها النشطات في الحركات النسوية، هي ميزة للمرأة وليست عيباً فبوساطتها تتمكن من التضحية براحتها لتربية الطفل الصغير ليكون في المستقبل عضواً صالحاً في المجتمع. فلماذا هذه المكابرة وعدم تقبل واقع حياة اقتضته سنة الحياة كلاً من الرجل والمرأة منحه خالقه العظيم عز وجل صفات وميزات جسمية ونفسية مختلفة، ولكنه عز وجل لم يميز بينهما في فرصة التعلم والعمل والسعي للحصول على الاجر والثواب والتحصيل الدنيوي والاخروي، كما لم يميز بينهما في الجزاء او العقوبة. وهنا نجد الفرق الاساسي بين مكانة المرأة المسلمة المشتقة من العدالة الالهية مقارنة مع مكانتها في الحضارة الغربية.

إن تضخم المشاكل المصاحبة لتغير دور المرأة في المجتمع في الغرب اخذت تزحف تدريجياً الى كافة بقاع الارض نتيجة تطور وسائل الاتصالات الحديثة. فالدول الفقيرة التي يفتقر سكانها الى ابسط وسائل العيش والصحة والنظافة تمتلك محطات اذاعة وتلفاز والتي، بدلا من استغلالها في التثقيف العام اخلاقياً وصحياً وعلمياً، توصل اخر أخبار نجوم السينما وافلام الجرائم واحداث الغرب. فلا عجب من ان تحاول نساء تلك الدول التشبه بنساء الغرب وتقليدهن، كما يحاول صغار الشباب تقليد الجرائم وتعاطي المخدرات، بدلا من محاولة تقليدهم بتحسين ظروف العيش وتوفير فرص التعلم والثقافة المتوفرة في الغرب.

والمشكلة التي تعاني منها المرأة المسلمة المعاصرة هي الفجوة الزمنية التي تفصلها عن العالم الغربي فالحركة النسوية في العالم الاسلامي، بالرغم من تقليدها للحركة النسوية العالمية الا انها في مرحلة متخلفة عنها. فقد اصبحت الحركة النسوية العالمية في مرحلة تسمى الان مرحلة ما بعد الفمنزم post feminism التي تسعى بصورة اساسية الى اصلاح حالة الاسرة. فكما اختفت الشيوعية أو أوشكت على الاختفاء، من الدول التي انطلقت منها، نجد ان البعض من أبناء الدول الاسلامية لايزال ينتمي، وحتى يومنا هذا، الى حزب شيوعي (أنظر مثلاً في صحيفة الحياة العدد ١١٦٩١ الصادر في ٢٢ شباط (فبراير) ١٩٩٥ في الصفحة الثالثة: خبر عن الامين العام للحزب الشيوعي لاحدى الدول العربية). فمن الضروري توجيه

الانتباه الى عودة الحركات النسوية العالمية الى التركيز على الدعوة الى تقدير الموقع الاسري للمرأة بعد أن لاحظوا مساويء ابتعادها عن الاسرة، بسبب العمل وتحلل الروابط الاسرية بشكل عام وغير ذلك. لان للمرأة، من خلال الاسرة، الدور الاهم في بناء شخصية الطفل ومن ثم مستقبل المجتمع المتكون من هذا الطفل في المستقبل القريب.

إن بعضاً ممن يرفعن راية الحركة النسوية، من خارج المنطقة الاسلامية أو داخلها، يفتقرن الى الموضوعية العلمية، وغالباً ما يكون ذلك بسبب من انتمائهن الديني أو السياسي. أما البعض الاخر ممن تثقف في الغرب فيفتقر الى معرفة صحيحة ومعلومات كافية عن التاريخ والتشريع الاسلاميين فتراه كالصدى يردد ما تذكره المراجع الغربية المتحيزة دون تمحيص وتدقيق. كما تجد احداهن أن المرأة في الجاهلية كانت تتمتع بمزايا وحقوق سلبها منها الاسلام، كتعدد الازواج (Elsaarawi 1982)! واخرى تذكر ان السيدة خديجة عليها السلام منحت الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أول عمل له ليتاجر في دمشق عندما كان عمره ١٢ عاماً (Al-Hibri 1982)! أما ليلى أحمد فتعتقد ان النشطات في الحركة النسوية من العالم الاسلامي واللاتي يعشن في الغرب، من أمثالها، يُتهمن بالخيانة لانتقادهن ما هو موجود في البلد الذي ولدن فيه وإن سكتن فإنهن يخُنّ القضية التي يدافعن عنها! وتذكر هذه الباحثة ان النساء العربيات يلمن الاسلام لانه ايدولوجية تطورت باتجاه السيطرة على المرأة، مرددة بذلك الادعاء نفسه للنشطات في الحركة النسوية الغربية (Ahmed 1982). إن ما لا شك فيه هو أن مساهمة مثل هؤلاء في الحركة النسوية وتهجمهن على الدين الاسلامي وفر لهن الموقع المرموق في الغرب وساعد بشكل اساس في ترجمة ما يكتبن ونشره.

لقد كانت المرأة المسلمة أول امرأة في العالم تحصل على حقوق لم تحصل عليها المرأة في الغرب الا بعد ١٣٠٠ سنة (Dearden 1983). فهي كفؤ الرجل في الانسانية ومساوية له في القدر (الخولي ١٩٥٣). وان كانت المرأة قد عانت فان ذلك جزءً من معاناة المجتمع بكامله رجالاً ونساء خلال عصور الاحتلال والاستعمار. وما أن بدأت الدول الاسلامية بصورة عامة، والعربية بصورة خاصة، في الحصول على استقلالها حتى كانت اسرع الدول لحاقاً بركب العلم والتطور الحضاري المفيد، وكانت المرأة المسلمة ضمن ذلك الركب فانتمت الى الجامعات حال توفر الفرصة واحتلت المواقع الادارية والتعليمية العالية بكل يسر وانسيابية مؤيدة بحقوقها التي شرعها الدين الحنيف.

المرأة المعاصرة والإسلام

من الحقائق المعروفة ان التطبيق الكامل للتشريعات الاسلامية حول المرأة والاسرة والمجتمع لا يمكن ان يؤدي الا الى خير الجميع وصلاح دنياهم واخرتهم. فتعدد المذاهب الفقهية التي تتبعها الدول الاسلامية، مثل المالكي في الشمال الافريقي، والحنفي في دول المشرق العربي التي كانت ضمن حدود الدولة العثمانية قبل الحرب العالمية الاولى، والجعفري في ايران، لا يمكن ان يسبب اي اختلاف في القواعد الاساسية لتكوين الاسرة مثل عدم اجبار المرأة على كرهٍ منها ودون الحصول على موافقتها، كما في الحديث النبوي الشريف « أمّروا النساء في أنفسهم، فإن الثيب تعرب عن نفسها وإذن البكر صمتها »، وشرط العدالة الصارم في تعدد الزوجات وشروط الطلاق وحدوده وغير ذلك. كما ان الظروف الاجتماعية، كما هو معروف ايضاً، غالبا ما تترك اثاراً كبيرة على الناس تتجاوز احياناً تأثيرات الدين، فالفتيات المسيحيات في العراق مثلاً، وإن كن أقل محافظة من الفتيات المسلمات في العراق إلا انهن اكثر محافظة من الفتيات المسلمات في لبنان ومصر (يحيى ١٩٥٨). كما تشير السعراوي الى ان بعض الممارسات الخاطئة في مصر تشمل المسلمات والقبطيات (أي المسيحيات) على السواء (Elsaarawi 1982)، مما يؤكد على ان للعامل الاجتماعي اثراً يتجاوز الاثر الديني في بعض الحالات. ان ما يحصل للمرأة المسلمة هو جزء مما يحصل للمجتمع بكامله، فعدم الاستقرار السياسي في معظم الدول الاسلامية لابد وان ينعكس على المرأة مادياً ومعنوياً. فاستقرار هذه الدول لابد أن يساعد على ابراز الوجه المشرق والتطبيق السليم للشريعة السمحاء دون تحريف أو تشويه.

ومن الغريب حقاً أن الكثير من الباحثين والباحثات يسارعون الى القاء اللوم على الاسلام بسبب ممارسات خاطئة معينة، رغم ان هذه الممارسات مرفوضة في الشرع الاسلامي، ودون البحث في سبب هذه الممارسات الاجتماعية وأصلها وزمن ظهورها. فالتاريخ المدون والمتوالي عن العصور التي تلت صدر الاسلام وتحول مركز الحكم الى دمشق ومن ثم الى بغداد، يشير الى ظهور مصطلحات "حريم السلطان" والجواري وغيرها مما يدل على زمن التغيير. ولا شك ان بعض العادات دخلت الى الدول الاسلامية من البلدان المفتوحة مثل عادات الفرس والبيزنطيين، فقد تبدلت مثلاً الملابس المتواضعة التي كان يرتديها اوائل المسلمين الى حلل فاخرة مرصعة بالجواهر اضافة الى التزين بالمجوهرات والاحجار الكريمة من قبل الحكام والاثرياء تشبهاً بحكام الفرس وغيرهم. وبدلاً من ازالة هذا الصدأ، الذي تراكم خلال تلك

الفترة، عن الجوهر النقي الاصلي، نجد أن الفتوحات هي التي تهيمن على التاريخ المدون ولا عجب فقد بدأ تدوين التاريخ في تلك العصور بهدف تمجيد الحكام ودون ان تذكر الامور الاخرى. وفي العصر الحالي وبعد توفر بنوك المعلومات وتيسر الحصول على الكثير من المراجع لابد من البدء بالتصحيح واعادة الصورة البهية للتشريعات الاسلامية، بدلا من الاستناد إلى ما يخطه الغرب مدفوعاً باحقاده عن الاسلام.

لقد كانت الشريعة السمحاء التي ظهرت مع الانوار المحمدية قبل اربعة عشر قرناً هي شريعة الفطرة التي خلقها البارئ عز وجل، فلا عجب من رؤية امريكيات واوروبيات يلجأن الى الدين الحنيف (Goodwin 1994) عندما يتفكرن. ولكن العجب ممن تربى وترعرع في جو "اسلامي" تجده يستغل ما وفره له الدين الحنيف من حقوق مشروطة اسوأ استغلال، مشوهاً سمعة دينه ومدمراً آخرته بدلاً من ان يكون تطبيقاً حياً للشريعة وتابعاً لذلك النور البهي الذي حظي به العالم منذ ١٤٢٥ سنة. فتعدد الزوجات المشروط لا يجوز استغلاله، ورعاية الاب لبناته توجب عليه عدم اجبارهن على الزواج أو منعهن من التعلم أو العمل ان رغبن في ذلك.

فالاسلام لم يمنع تعليم النساء أو عملهن، حيث ان الاحاديث الشريفة لم تقصر تلقي العلم على الرجال أو العمل دون النساء اللاتي يصفهن الحديث الشريف : «إنما النساء شقائق الرجال». فعند إفساح المجال للدراسة والثقافة والعمل وحق اختيار الزوج، فإن الفطرة ستدل المرأة على الطريق الصحيح لخير حياتها في الدنيا والاخرة ولن تحتاج الى تقليد المرأة في الغرب بالتشدد في المطالبة بما لا يجوز لها من أباحية وتحلل خلقي ومن ثم تدمير الاسرة والمجتمع كما يحصل الان في العالم الغربي.

المرأة المعاصرة في الغرب

إن الضرورة تحتم الاطلاع على تجربة النساء في الغرب للاتعاظ منها وتفاديها بدلاً من خوض التجارب نفسها والابتلاء بنتائجها لكي يُثبت خطأ الطريق الذي سلكته المرأة في الغرب. فلا احد يرغب بتفشي الشذوذ والمخدرات ومرض الايدز (نقص المناعة المكتسبة) في مجتمعه وليس هنالك من يرغب في استفحال الجرائم وخصوصاً جرائم صغار الشباب لما تسببه من تدمير مروع للمجتمع والثروات والجهود. كما لا توجد أمرأة ترغب ان يتحول بلدها الى غابة تُغتصب فيها امرأة كل دقيقة كما يحصل في امريكا، وترتفع فيه نسبة الطلاق الى ٥٠٪ من المتزوجين. ولا يرغب أحد أن يقضي سنيِّه الاخيرة في بيت للمسنين لا يزوره ابناؤه واحفاده الا مرة او مرتين في العام إن تذكروه. ان الاسرة لا يمكن ان تقوم بشكل كافٍ على ضمان رعاية

الانسان منذ طفولته وخلال شبابه وحتى شيخوخته الا كما هي حسب الفطرة التي فطر الله تعالى عليها الانسان.

إن الطريق الواضح والمستقيم الى استقرار المرأة المعاصرة هو العودة الى الفطرة والتخلي عن التكبر الذي ركب رؤوس نساء الغرب وكلفهن والمجتمع غالياً. وليس هناك أوضح ولا أفضل من الامر الالهي الوارد في الاية الكريمة: {فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون} (الروم: ٣٠)، ليصل الانسان رجلاً كان أم أمرأة الى أنسانيته الكاملة.

المحتويات

هذا الكتاب

إن القارئ المتأمل بهذا البحث، والمتدبر لما ورد فيه، ليدرك حقيقة الدافع الذي حدا بالباحثة الأستاذة الدكتورة شذى الدركزلي - كما يدرك - ما عندها من صدق النية وسعة الأفق، وقدرة على الوصول إلى الحقيقة المجردة بنزاهة الباحث وتأمل المفكر، بعيداً كل البعد عن التعصب الأعمى، ومسايرة الأهواء وذلك بالإحتكام إلى الحق والعدل وتحكيم العقل والمنطق، في عصرٍ شاعت فيه النزعات المغرضة، وسيطرت فيه الأنانية والمصلحة الشخصية. وقد كانت الباحثة في كل ذلك مسلحة بالإيمان الصادق والتجربة العميقة المدعومة بالأدلة الحية والشواهد الماثلة وبخاصة أنها عاشت وما تزال في بلد غربي غير إسلامي.

ففي هذا الكتاب تتحدث الباحثة عن الإسلام وتكشف زيف الإدعاءات والإفتراءات الباطلة ضده بشكل تجعل منه صخرة صلبة لا تنال منها الأنواء ولا تؤثر فيها الأهواء، فجاء حديثها موضوعياً يعتمد الحقائق والأرقام والخبرة الحياتية كما يعتمد على المنطق والعقل وصدق التجربة.

إن المعلومات الموثقة الواردة في هذا الكتاب والمتعلقة بمكانة ودور **المرأة المسلمة في مواجهة التحديات المعاصرة**، كلها تدعو الى مزيد من التبصر والكثير من التأمل والتفكير لتكون نبراساً يهتدي به كل من يسعى إلى نصرة الحق والسبيل القويم في عالمٍ يسوده الفساد ويسيطر عليه الباطل ويخلو من القيم الروحية التي جاء بها الإسلام لإسعاد الإنسانية في كل مكانٍ وزمان.

الناشر

تصميم الغلاف: موسى عسّاف